PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كتاب الحياة ٢٧

النسوية

قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب

د. رياض القرشي

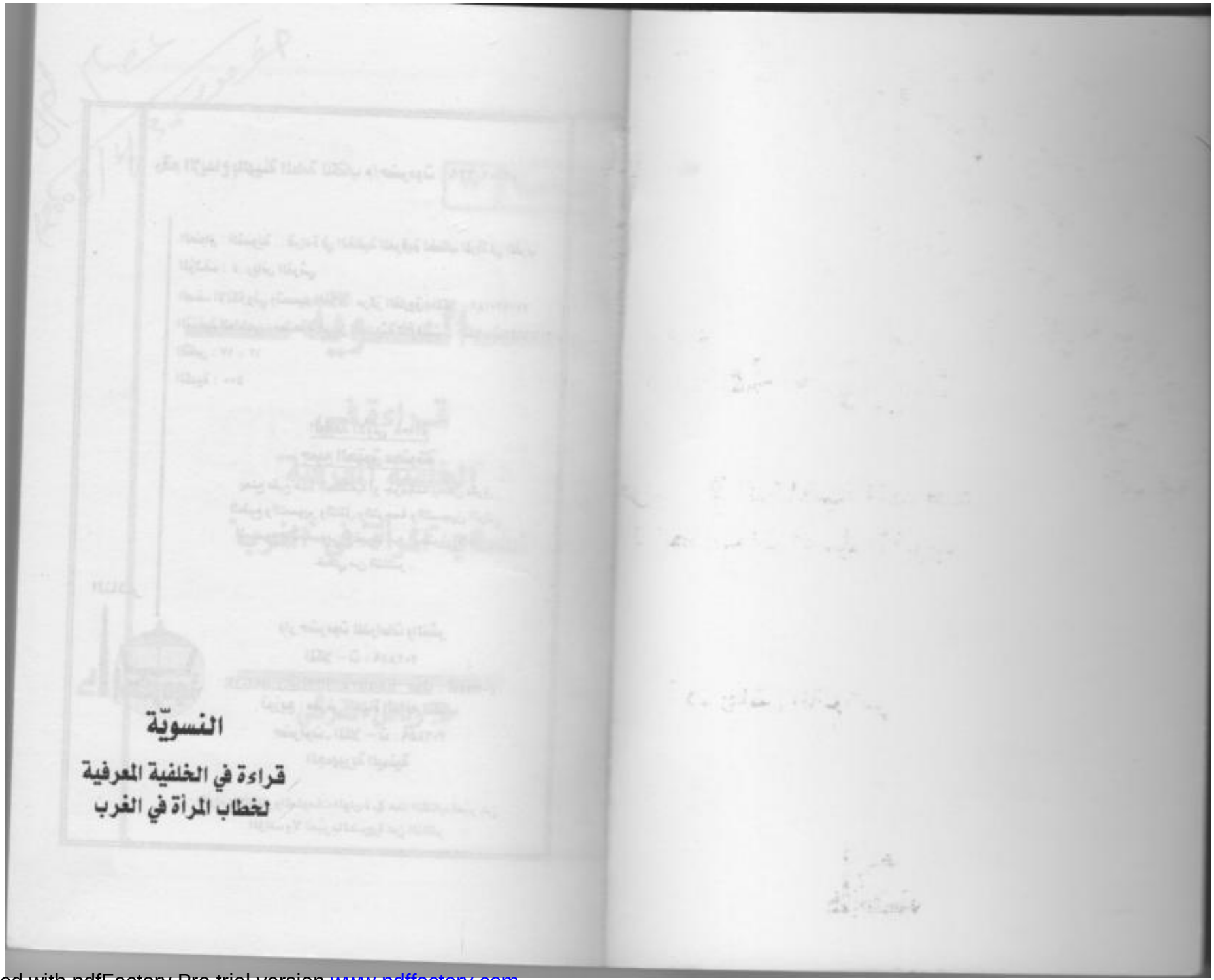

النسويّة

قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خصم الدال
المقصود
2008/4/30

كتاب الحياة | ٢٧

النسويّة

قراءة في "الخلفية المعرفية" لخطاب "المرأة" في "الغرب"

د. رياض القرشي

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/حضرموت : ٢٠٠٧/٢٣٩م

العنوان : النسوية .. قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب
المؤلف : د. رياض القرشي
الصف الإلكتروني وتصميم الغلاف: مركز الفاروق ـ المكلا ـ ٧١١٩٢٠٣٨٢
التنفيذ الطباعي : مطبعة وحدين الحديثة للأوفست ـ المكلا ـ ت: ٣١٦٦١٤
المقاس : ١٧ × ١٢
الكمية : ٥٠٠

الطبعة الأولى ٢٠٠٨م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي المسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر .

الناشر

دار حضرموت للدراسات والنشر
المكلا – ت : ٣٠٢٨٥٩
e-mail : dar_hadhramout@y.net.ye
توزيع : معرض الحياة الدائم للكتاب
حضرموت ـ المكلا – ت : ٣٠٢٨٥٩
الجمهورية اليمنية

الآراء والأفكار والمعلومات الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن المؤلف ولا تعبّر بالضرورة عن الناشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لعلَّ من أوضح تجليات فكر (التناص) *Intertextuality* التأثيرات التي بدت في صياغة أسفار التوراة ثم أثرها في الأناجيل، حيث اختلط الوحي الإلهي مع التجربة البشرية فبدت النصوص وقد حملت في جانبٍ منها مؤشراتِ هذه التجربة وهي ممهورة بالمداد المقدس، فوجَّهت الفكرَ ووجَّهت السلوكَ إلى منحى من الحياة في النظر إلى الإنسان وعلاقاته، وبخاصة إليه بوصفه رجلاً في علاقته مع (المرأة).

وتواشجت فِكَرُ (التناص) في الوعي واللاوعي الفردي والمجتمعي الغربي: فصيغت قواعد الفكر الفلسفي منذ أفلاطون وأرسطو، في القرن الرابع قبل الميلاد، نتاجًا لذلك التواشج، واستمرَّ صاعدًا مع حركة الزمن حتى مَفْصل (التحولات) المعاصرة في فكر الثورة الفرنسية (في القرن الثامن عشر بعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الـميلاد) حيـث بـدا في أوج تمثلـه في أطروحـات (جـان جـاك روسـو)، حتـى رُسمتْ صورةٌ مترابطةُ الألوان تمتدأ مـن (الكتـاب المقـدس = التـوراة وأسـفاره) وتمخـر في عُباب الفكر اليوناني ثم فكر ما بعد الـميلاد، وحتى التاريخ الحديث للحضارة الغربية.

وقـراءة هـذه الـصورة تُنـتج ملامـح الـسلوك الـذي تشكّل من خلال مؤسسات النظام العام في المجتمعات، سـواء كانـت التـشريعية / الـقانونية أو الفلـسفية أو التعليمية أو بشكل عام كل تفرعات الثقافة في حياة المجتمع بحيث تصوغ تلك الثقافة نمط العلاقة داخله وبخاصة – فيما نحن بصدده – علاقة الرجل بالمرأة.

وتكشف هذه السلسلة الفكرية البعيدة الغور في التاريخ وفي الثقافة (الغربيين) عن خلفية ثقافة (التحيُّز) ضـد الآخـر، بـدءًا مـن (الـمرأة)، وهـو الأمـر الـذي استدعى قيـام محـاولات (الـذات النـسوية) تغـيير هـذا

الموقع من (الآخر) إلى (الأنا).

لقد تداعت عدد من المقولات النسوية في العالم، وبخاصة في الدول غير الأوروبية، فتساءلت:

"هل بالضرورة أنه لا تقوم الحركات النسوية في العالم إلاّ على ضوء الأسس والإشكالات التي أنتجها المجتمع الأوروبي تجاه المرأة"؟

بل لقد ذهبت بعض الأقوال الأوروبية نفسها في مجال خطاب المرأة إلى التأكيد على أنّ الانتماء للحركات النسوية في المجتمع الأوربي لا تشكّل مَدًّا عارمًا كما يبدو في وسائل الإعلام وفي التوظيف السياسي، ولهذا نشأت تساؤلات:

- ما المقومات التي كانت وراء الخطاب النسوي المعاصر في الغرب؟
- وهل هذه المقومات – أو الإشكالات – كانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناتجة عن تخلف مجتمعي عام ؟ بحيث إنّ تطور المجتمع سيؤدي إلى تجاوزها؟.

- هل هذه المقومات تنحصر في فكر القوى الدينية فقط، بحيث إنّ فكر القوى العلمانية يمكن أن يشكل تجاوزًا لتلك الإشكالات؟

وغيرها من التساؤلات التي يمكن أن تكون حافزًا لنشوء مثل هذا البحث الذي يسعى إلى أنْ يحاور (الثقافة) التي تقف وراء الخطاب النسوي وأن يتعرَّف على الخلفية المعرفية (الأبستمولوجية) المهيمنة على هذا الخطاب.

ولعلَّ هذا يكون دافعًا لباحث آخر أن (يقرأ) (في) الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في النص المقدس (الإسلامي) – القرآن – وفي تجلياته البشرية في الفكر والثقافة من خلال كتب التفسير، وما تعكسه من (سلوكيات) في حياة المجتمع العربي المسلم في مجال

علاقة الرجل بالمرأة.

لقد حاولت هذه الدراسة أن تتصل بالنصوص ذات التأثير ثم النصوص (التجليات) اللاحقة في التجربة البشرية في الغرب. فتناولت :

- ❖ نصوص من الكتاب المقدس.
- ❖ قراءات في خطاب المرأة في الغرب.
- ❖ ربط هذه القراءات مع تجلياتها في الثقافة الغربية.

ولابدَّ من الإشارة إلى أن الهدف يبدو في محاولة الوصول إلى النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه القراءة، وتبيان أسس (الخلفية المعرفية) لخطاب المرأة في الغرب، والموجات النسوية التي صاحبت هذا الخطاب.

وربما كان هذا مدخلاً لمعرفة الأرضية التي تنبع منها القراءات النسوية في الغرب حتى يتمكّن القارئ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من إقامة علاقة عضوية – ربّما – بين الخطاب النسوي (بعد ذلك) في أي مجتمع، وخلفيته المعرفية التي أنتجته.

التمهيد

إذا كنا قد ألمحنا إلى (درٍ) غير مسبوق في تحديد ثقافة التحيُّز ضد المرأة في الغرب، فإنَّ ذلك قد تمّت مقاربته موسعًا في ثنايا هذا البحث، ولكنَّ التقريب يستلزم أن نخوض في بعض الملامح خوضًا جميلاً، لا يتغيًا سوى (العلمية) ولا غرض له مطلقًا من أغراض (التشويه) أو (الهجوم) أو (التعرية) للآخر كما يحلو لبعضهم أن يقوم به، أو أن يسم دراسات غيره أو منهجه بمثل تلك الصفات، وتبدو هذه الملامح في:

أولاً: حملت الرؤى المتعلقة بالموقف من المرأة في الغرب منظورًا (دينيًا) عميقًا بدءًا من (سفر التكوين)، وحتى عدد من (إصحاحات) الإنجيل، وهي في الأخير تضيف (إلى جانب الربِّ في الموقف المتدني للمرأة في سفر التكوين) نصوصًا تذهب إلى أنَّ:

"المسيح – عليه السلام – كان إلى جانب الأفعى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي حثَّت آدم وحواء على الأكل من (شجرة المعرفة) ممَّا أدى إلى طردهما من الجنة [1]".

ولذلك يتم تفسير (الطرد من الجنة) بأنَّ :

"الإنسان خرج [من الجنة] لأنَّه حصل على المعرفة في تمرده على الإله، وأنَّ المسيح نفسه كان يؤيد الأفعى التي دفعت الإنسان إلى التمرد المعرفي [2]".

وهذه التفسيرات والنصوص، تدل على أمرين:

أ) أنَّ الثقافة البشرية – التجربة الحياتية – تَرسَّخ فيها ذلك الموقف من المرأة الذي نلمسه في التفسيرات القديمة، كما وردت في سفر التكوين والتأويلات والشروح التي ترتَّبت عليه، حتى يتعمَّق في الإدراك أن هذا الموقف (المضاد للمرأة): حقيقة إلهية خلقها الربُّ، ومشيئة متجسِّدة باركها (المسيح) نفسه.

(١) دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي ص١٩٧، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ثالثة ٢٠٠٢.

(٢) نفسه. لولذلك نشأت دعوات جديدة – اليوم – إلى ضرورة مراجعة النصوص وإعادة صياغة الأناجيل.

ب) إنَّ فكرة التمرد لم تكن قديمة مع نصوص التوراة، ولكنها نشأت متأخرة، وهذا أيضًا يعكس مجالاً من مجالات التناص الذي قام عليه جوهر (قصة الخلق والتكوين) .

وكأنَّ فكرة التناص تذهب - فعلاً - إلى عدم الاعتداد بأي نصّ بوصفه (الأصل)، ويشمل ذلك (النص المقدس) في أي ديانة من الديانات، وهي المسألة التي عرض لها د. المسيري [1] في مواضع متفرقة من مؤلفاته.

وكل ذلك يعني أن تحاول أي قراءة أن تكون مدركة لأسلوب التناول وبأدوات قرائية موضوعية أي (علمية). وهذا يعني – من جانب آخر – فكرة (الاجتهاد)، وكما أشار د. نصر أبو زيد [2] بأنَّ الفكر الإسلامي يتميَّز بأنَّه (يكافئ) (المجتهد) الذي يخطئ

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص١٧٥، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط أولى ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة) ص٦، ٧، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ثالثة ٢٠٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في اجتهاده، ولكنني أضيف أنَّ الإمام الشافعي قد وضعَ قراءةً لنصٍّ الحديث لم يقف به عند إقرار الأجر للاجتهاد فحسب، ولكن في علاقة الأجر بالخطأ في الاجتهاد، والحديث:

" إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر "

حيث كانت قراءة (النص) مُوهِمةً بما يجعل (القارئ) يتشكك في صحته فقيل [1]:

كيف يؤجر وقد أفتى أو حكم بشيء خاطئ، اتبعه الناس عليه، فلا أجرَ مع الخطأ: حتى إنَّ بعضهم (ردَّ) هذا الحديث.

فقرأ آخرون النصَّ، ومنهم الشافعي، فرأى:

إنّه يؤجر، ولكن لا يؤجر على الخطأ، لأنَّ الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد، وإنّما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه.

(١) انظر: نقد العقل المسلم، عبدالحليم أبو شقه (ص١١٢ – ١١٣)، مركز الراية، دمشق ط أولى سنة ٢٠٠١م.

وقال آخرون:

"إنَّ المجتهد المخطئ أحدثَ في الدين مالم يُؤمر به ولم يكلفه، إنّما أُجرَ في نيته لا في خطئه."

فكانت طريقةُ (فهم النصِّ) وتوجيهه، وسيلةً إلى (تبيان) موقف (ما) ويترتب عليه (علاقة) مع (آخر) وهكذا، كما رأينا في تناولهم لهذا النص.

وكأنّ قراءة النص تلزمنا بفهم أنَّ الحكم بالخطأ أو الصواب، (القبول أو الرفض) ليس هو (الدين) نفسه، وإنّما هو فهمنا لهذا النص، وقد نتفاوت في فهمه، وكلّنا في جانب (الأجر) سواء في حَدِّ الأساس [1].

ثانيًا: تحمي الثقافة المواقفَ المتبناة، ليس فقط من خلال الاستناد إلى النَّصِّ المقدس، ولكن من خلال إضفاء القدسية لأي تناصّ معه، ولذلك

(١) الأساس ان المجتهد له (اجر) كما يدل النص.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يوضع الكتاب المقدس في موقع:

" **العصمة [1] من الخطأ:**

لا في قضايا العقيدة والأخلاق فحسب، بل أيضًا في كل ما يتعلّق بالتاريخ ومسائل الغيب، كقصة الخلق وولادة المسيح من مريم العذراء، ومجيئه ثانية إلى العالم، والحشر الجسدي ... ".

وهذه القضايا ستشكل خلفية فكرية في قراءة (خطاب المرأة) في الغرب وبخاصة وأن الدراسات المعاصرة تثبت – كما سنرى أيضًا – أنّ:

(أساس إشكالات المرأة المعاصرة ودعوات النسوية كانت في الغرب، وبخاصة مع الخطاب الديني المسيحي ... [2]).

(١) فكرة العصمة من الخطأ – في القرن العشرين أيضًا – مرتبطة بمصطلح: (*Fundamentalism*) في المسيحية الذي يترجم إلى (الأصولية) أو (للدلالة على التعصب والتشدّد): أنظر المورد – منير البعلبكي – ط٢٠٠٢ – بيروت.

(٢) أنظر: المرأة والجندر: د. أميمة أبو بكر ، د. شيرين شكري، ص٢١٠، دار الفكر – دمشق ، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

فكان الفكر الأرسطي من مقدمات التوجيه الثقافي الغربي – بعد الكتاب المقدس/ التوراة والأسفار – مستلهمًا الأسس الثقافية له من (أفلاطون) في تحديد (العلاقة مع المرأة).

وإذا كان البحث سيستكشف قراءة هذه الخلفية المعرفية، فلا ضَيْرَ من الإشارة إلى موضوع ذي دلالة معبرة عن هذه الخلفية ، إذ ركز الفكر الأرسطي مثلاً على مناقشة: (دور الرجل والمرأة في تكوُّن الجنين)

وبدا الفكر الفلسفي (الأخلاقي) وقد وضع علاقةً فرضتها (الثقافة) حيث رأى أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد:

" أنّ ما يفرزه رحم المرأة من سوائل لا دور له في الحمل.

وأنّ مَنْي الرجل هو وحده الذي يرجع إليه [تكوُّن] الجنين [1] ".

(١) ابن رشد (سيرة وفكر) : د.محمد عابد الجابري (ص٢٣٥) مركز دراسات الوحدة، بيروت، ط ثانية ٢٠٠١ (والتأكيد على: عبارة هو وحده منًا).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويستمر النص الديني بقوة من خلال مؤسساته المتمثلة في (المجمع الكنسي) في فرنسا، في القرن السادس عشر بعد الميلاد، حيث ناقش رجال الدين:

هل للمرأة روحٌ أو لا؟

ويبدو أنهم لم يستطيعوا إنكار هذه الروح، فكانت النتيجة:

"بأنَّ لها روحًا، ولكنَّها روح شيطانية."[1]

وهو ما يمثل استمرار الخلفية المعرفية التي تعمِّق من سلوك الاضطهاد للمرأة، في الفلسفة (وتبعًا في السياسة) – كما في العصر اليوناني قبل الميلاد – ثم في النصوص الدينية (أو المنسوبة للدين: وتبعًا للسياسة) بعد ذلك، وكلُّها عناصر وخلايا تتشكل في نسيج الثقافة والممارسة.

(١) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، راشد الغنوشي (ص٣٣)، مركز الراية، دمشق، ط أولى سنة ٢٠٠٥.

وبالرَّغم من محاولات الخطاب الثقافي المتحيِّز بأن يجعل من (مريم) عليها السلام نموذجًا للبراءة والطُّهر، فإنَّ ذلك لم يكن في سياق التحوّل عن مفهوم (المرأة/ الخطيئة) إذ ظلت هذه العقيدة موحية في تجليات الثقافة في الغرب، فإذا كانت مريم عليها السلام:

"تمثل الحد الأقصى من الخيرية الروحية"[1]

فإن (حواء عليها السلام) (زوج آدم عليه السلام):

"هي الأكثر شؤمًا في مادية البشر"[2]

وارتبطت النظرة إلى مريم عليها السلام بكونها – فقط – (أم المسيح عليه السلام) = المسيح المخلِّص، الذي تحمَّل عذابات البشر بسبب تلك الخطيئة.

(١) (٢) بحوث في النسوية لـ(جوزفين دونوفان) و(آلين شوالتر) انظر: نظرية الأدب في القرن العشرين، لتيم تيوتن، ص٢٧٩ومابعدها ترجمة د.عيسى العاكوب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط أولى ١٩٩٦م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذلك توصلت الدراسات النسوية إلى إبراز الجانب الثقافي في النظر إلى المرأة، في شخص (حواء) من خلال المخطط الآتي[1]:

حـواء	مـريم
مادي	روحي
الجسد	الروح / النفس
موضوع الجنس	المثل الأعلى العذري
الإغواء (*)	الوحي
الشر	الخير

وتكون خلاصة تحليل التفكير الثقافي الغربي في موقفه من المرأة كما ترى (جوزفين دونوفان) :

" إنَّ كثيرًا من الفكر والأدب الغربيين، فشل في الإمساك بزمام مشكلة (الشرّ)، لأنه يُلقي الشرَّ بيسرٍ

(١) نفسه ص٢٧٩ .

(*) في النص (المغوية) ورأيت تحويلها إلى (الاغواء) لتتناسب مع سياق الجدول وبخاصة مع مقابلها (الوحي).

على المرأة، أو على (آخر) مميَّز كاليهودي أو الزنجي[2] "

وهو التفكير الذي خلق من (الآخر) أقل قيمة من (الأنا) = الرجل الأبيض الغربي، ويتسع هذا (الآخر) ليشمل:

المرأة ، واليهودي، والزنجي، والعربي[3]، أو المسلم أو الشرقي، ... وهكذا.

بل حين هُوجمت (السامية) و (الشرقيون) كان الخطاب الاستشراقي الغربي يذهب إلى أن:

" الساميين لم يكونوا اليهود فقط، بل المسلمين أيضًا "

ولذلك نجد في التاريخ المعاصر – في القرن العشرين – التأثيرات التي تمتد خلفيتها المعرفية إلى

(٢) نفسه ص٢٨١ .

(٣) الاستشراق ، ادوارد سعيد ص٦٩، ٩٧، ترجمة د. كمال أبوديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ط الرابعة ١٩٩٥.

(٣) نفسه ص١٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(سفر التكوين) في قصة الخلق، وبخاصة في مسألة (الأكل من الشجرة) حيث بيَّنت القصة: (شجرتين): أولاهما: للخلود ، والثانية للمعرفة (أصل الأشياء وما تؤول إليه) بمعنى: (الحياة المطلقة، والقدرة المعرفية المطلقة). وذلك التأثير – أو التناص – تشكَّل من خلال الاعتداد بقدرات الإنسان وتحوّل الفكر – بعد الثورة الفرنسية – :

- ❖ من (الله محور الكون).
- ❖ إلى (الإنسان محور الكون).

حتى أصبح الإنسان مصدرًا لكل شيء في الفكر الغربي، وأصبحت (المعرفة):

" هي أقدس ما يملكه الإنسان، وأنها توجد على نحو فردي إلهامي، أي بإمكان الفرد الوصول إلى معرفة أسرار الكون وجوهره، أي إلى المعرفة المتعالية، دون حاجة إلى عون خارجي من نبيٍّ أو كتابٍ مُنَزَّل "[1].

(١) دليل الناقد الأدبي ص١٩٨ (الفنومينية) – (وانعكاس هذا الفكر في تيارات الأدب ومنها النقد الأدبي).

وتأثرت الحضارة الغربية بالقيم التي تجلّت في الأطروحات الفلسفية وبخاصة مع الفلاسفة الألمان، التي تتبلور فيها (محورية الإنسان للكون) منذ (شوبنهاور) (١٧٨٨ - ١٨٦٠) وتركزت عند (نتشه) (١٨٤٤ - ١٩٠٠) في مقولات أصبحت محور اهتمامه وفلسفته، مثل:

" The Transvaluation of all values "

التي تدعو إلى إعادة النظر في كل (القيم) وبشكل مختلف عمّا كان سائدًا، فدعا إلى:

- موت الإله — ***The death of God***
- و - إرادة القوة — ***The Will of Power***

حتى عُدَّ (نيتشه) من أبرز المؤثرين في الفكر الغربي المعاصر، وبخاصة وأن أفكاره جاءت امتدادًا لأفكار (هيجل) و (كانت) و (داروين) [1].

(1) انظر:

German cultural history Form 1860 To the Present day (Nymphenburger Verlag sbuehhndlung Munich, Germany 1983, pp. 43-44.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبالرَّغم من أنَّ هذا التوجّه الذي يُعلي من شأن قدرات الإنسان وبخاصة (العقل) و (التجربة) لبناء الحياة على (العلم) قد انطلق منذ القرن التاسع عشر، فإنَّه لم يتخلّص من (الموقف من المرأة) بوضعها في المستوى الأدنى وتحقيرها، كما تكشف ذلك: التشريعات والسياسة والقضاء والحياة الاجتماعية ، بل تأثر (الأدب نفسه) فتحول إلى الدخول في دائرة (العلم) وبدأ يفقد دوره في الحياة وفي المجتمع بدعوى (العلمية) التي صاحبها النزوع نحو القضاء[1] على:

(الفكر المثالي) - (الغيبي) – (التصوفي) - (الروح الدينية)

بل إلى تحطيم[2] كلّ ما هو غيبي وليس عقليًا، ولكن ظلت المرأة وظل خطاب المرأة متخلّفاً عن هذا

(١) الأدب المقارن: إبراهيم عبدالرحمن ص٤٣، ٤٤ ، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، ط أولى سنة ٢٠٠٠ - القاهرة .

(٢) الأدب المقارن: الطاهر أحمد مكي ص٦٩، دار المعارف، القاهرة، ط أولى سنة ١٩٨٧.

النزوع، وتكشف الدراسة (الموجات النسوية) في الغرب التي حاولت في بداياتها الأولى في القرن التاسع عشر، ولكن لم يبدأ التغيير الحقيقي إلاّ بعد منتصف القرن العشرين، بل في الثلث الأخير منه.

نشأت الحركات المطالبة بحقوق المرأة في القرن التاسع عشر، ثم أطلق عليها (النسوية) (***Feminism***)[1] وعُرفت بوصفها (أسلوبًا في الحياة الاجتماعية والفلسفية والأخلاقيات يعمل على تصحيح وضع النساء المتدني التي يحط من شأن المرأة ويحقرها (...)).

(وفي مواجهة السيطرة الذكورية أو التحيُّز الجنوسي ***Gender bias*** الذي أثّر في البنية الثقافية والاجتماعية والإجراءات السياسية بل في الثقافة بشكل عام) .

(١) يُنظر من:-

Simon Blackburn, Oxford dictionary of philosophy. (Oxford university, 2005).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثًا: الثقافة والتغلغل النصي :

وبالرغم من إدراك أن (التأثير الثقافي المهيمن) يخلق ثقافة (لا واعية) في تناول المصطلح أو في ممارسة السلوك أو في الكتابة أو غيرها، في المجتمعات (المتلقية) للثقافة المهيمنة، والتي أثبتتها الدراسات المتخصصة في قضايا الثقافة أو (التبادل الثقافي) أو ما كان يسمى بـ (الثقافة الامبريالية) ودورها في صبغ مجتمعات العالم الثالث بصبغة (ثقافية) تؤدي إلى تمييع ثقافتها الخاصة، وإحلال تتبع (لاواعي) للثقافة المسيطرة وبخاصة في مجال (الهيمنة الإعلامية) المعاصرة ، فإنَّ تلقي مصطلح (النسوية) وإشكالاتها، وصبغ قضايا المرأة بنفس إشكالات الواقع الغربي هو ما تعاني منه قضايا المرأة العربية الإسلامية أيضاً وهو ما سبق تناوله من قبل النسويات في أمريكا اللاتينية وفي أفريقيا وغيرها.

ولا يعني هذا رفض (التثاقف) ولكننا نجد في

مناهج السيميوطيقا ونظريات (التلقي) واستجابة القارئ ما يمكننا من تجاوز (فكرة) التأثير غير الواعي، إذ إنَّ هذه النظريات تضع أسساً للتثاقف يقوم على (تجاوز) التناول الحرفي للمصطلح أو للفكر وذلك لأنها تفترض:

"أنَّ الناس تفضُّ شفرات (*decode*) ورموز النصوص بأساليب وطرق مختلفة، تعتمد على خلفياتهم الثقافية، والمستويات الاجتماعية الاقتصادية لهم.."[1] = (علم العلامات).

أو أنَّ:

"كلُّ فرد يُضفي المعنى على النصِّ بطريقته الخاصة"[2] = (استجابة القارئ).

وإنَّ مثل هذه(الفرضيات) تقتضي (وعيًا) ثقافياً مجتمعياً أيضاً في المجتمعات المتلقية، حتى تتحقق مثل

(1) النقد الثقافي، ايزابرجر، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بطاويسي، ص١٠٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٣م.
(2) نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه القراءة التي يمكن وصفها بأنّها قراءة (تفاعلية) لا (متلقية) فقط، ومعروف أن هذه الثقافة المجتمعية لا تنفصل عن كونها بدايات فردية مشتتة، لا بدّأن يكْتبَ لها الالتئام الثقافي المجتمعي مع استمرارها وافيةً بالأسس العلمية التي تتطلبها قراءة النصوص.

ولعلةً من المفارقات أن نجد أنّ التلقي(التابع) قد يتم تشجيعه حتى وإن أدى ذلك إلى محو الخصوصيات كما في مصطلح (النسوية) وإشكالاته الثقافية، في حين أنّ مصطلحات أخرى يتم إلصاقها بثقافة ما- مثل الثقافة العربية والإسلامية - في الوقت الذي يتم فيه محو المصدر الذي أنتج هذه (الملصقة) الذي غالباً لا تكون الثقافة نفسها التي أُلصق بها هذا المصطلح، مثل مصطلح (العنف).

وإذا كان (العنف) قد مُورس على المرأة/ الآخر في الثقافة الغربية فإنّ مرتكزات (الثقافة الغربية) الحديثة قد قامت على دعامة (العنف) حتى قد ترسّخ في

السلوك كما في الفكر، إذ إنّ تقسيم (الآخر) على أساس: (الخير و الشر)

كما انطبق على الرجل والمرأة ، نجده تماماً هو ما مارسته الحضارة الغربية في ثقافتها وسلوكها تجاه الآخر(رجل أو امرأة) في الشعوب (التي لا تنتمي إلى الحضارة الغربية) ، ولذلك نجد أن جانباً من الدراسات تلتقط (دالات) الأحداث التاريخية وانعكاسات (القيم) الكتوبة لتدلل على المعاني التي تتجلى في هذه الحضارة أو تلك الثقافة ومنها بعض المظاهر أو المؤشرات التي نكتفي بها لأنه ليس هدفنا هنا الاستقصاء وإنما الدلالة فقط ، إذ كشفت ذلك دراسات غربية وأسهبت في دراسة التاريخ وناقشت القيم الفلسفية بوصفها مظاهر لهذه الحضارة، ومن ذلك [1]:

- إنّ الثورة الفرنسية تمثل مفتاح الحضارة الغربية

(1) *Mahmood mamdani, Good Muslim Bad Muslim (America, The Cold War, and The Roots of Terror) (Panthen Books, U.S.A.- Canada) (Malaysian edition 2005) Pp.*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعاصرة وهي في الوقت نفسه تمثل مصدر الرعب أو الإرهاب الذي يقوم على (المدنيين المسلحين) تجاه المجتمع ، حتى أصبح (العنف) هو القابلة ***Midwife*** في توليد أحداث التاريخ بعد ذلك.

- إنَّ ثقافة العنف تمتد – أيضاً – إلى (نابليون) حيث وقفت وراء انتصاراته الاعتماد على (الوطنيين المتحمسين للدفاع والتضحية عن الوطن) ***Patriots*** (حيث ينزع هؤلاء إلى القتل من أجل هدفهم وغايتهم) تحت نزعة: ***The civic religion of Nationalism***

أي (المواطن الذي ينظر إلى تحقيق هدفه بوصفه واجبًا دينيًا مقدسًا).

- صاغت فلسفة (هيجل) هذه الممارسات في السلوك الغربي:

فكتب بأنَّ الإنسان يرغب في الموت من أجل قيمة عظيمة هي أفضل من الحياة نفسها، وأوحت كتاباته في المقابل:

الإنسان يرغب في القتل من أجل سبب عظيم أيضاً.

وبذلك يجد الباحثون أنَّ (الحداثة) الأوروبية استندت إلى فلسفة العنف تجاه (الآخر)، وبخاصة مع التوسع الغربي لاحتلال بلدان العالم غير الأوروبي.

ونعلّ من أهم مخاطر هذه النزعة أنه:

نشأ النزوع نحو العنف بلا معنى وبلا هدف أيضاً"

وبخاصة مع الشعار الحضاري الغربي: ***The West and The rest***

إذ تشكّل من هذا كله، ومن الممارسات التي استمرت منذ حركة الاستعمار حتى التاريخ المعاصر ، نزوع آخر يميل إلى العنف من أجل (حقوق) يراها (دينية) أو (قومية) أو دينية مقدسة) وهكذا.

وبذلك لا يمكن فصل قضايا النسوية وإشكالاتها عن هذه الإشكالات العامة لأنها في النهاية تتشابك

(1) *Ibid.*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكراً وسلوكاً في كل الثقافات المعاصرة ، في الإبداع الأدبي والنقدي كما في الفلسفة والتشريع (...).

ويعدُّ اختيار المبدع لموضوعاته – في الرواية مثلاً- نتاجاً لرؤية يحملها ، وهذه الرؤية تتشكل في ثنايا إبداعه متوزعة بين الوظائف والأحداث، والصياغات المختلفة التي قد تتميَّز هنا بسمة ما ، وتندُّ عنها سمة أخرى هناك ، ووراء كل ذلك (ثقافة) توجّه أسلوب المعالجة وطرق التناول، وتحدُّد اتجاه الموقف، وتكشف لوناً أو ألواناً من (المواقف) : تعارضاً، أو توافقاً، أو هدماً أو بناءً ، وهكذا.

وفي تجليات الفكر النسوي والموقف منه، يمكننا أن نجد مواقف جزئية بين الأحداث ولكنها ذات دلالة موحية فيما نحن بصدده، وفي هذا المجال يمكننا أن نقتبس من رواية(شفرة دافنشي) [1] لـ (دان براون)

(١) صدرت الطبعة العربية الأولى في (٢٠٠٤) ترجمة: سمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.

متطوعات توضح ثقافة التهميش والإقصاء في الفكر الغربي (للآخر) الذي يمثل غير(الرجل الغربي الأبيض)، حيث يتجلّى هذا الآخر في المرأة بالدرجة الأولى ، وكيف أن هذا الفكر اعتمد على (البعد الديني).

يقول المؤلف:

"إنَّ النساء حتى إذا كنَّ أتباع طائفة دينية أو سرية" ... كنَّ مجبرات على تنظيف غرف الرجال وقاعاتهم دون أجر، وذلك أثناء وجود الرجال في التكس [2].

وأن النساء ينمنَ على أرض خشبية خاصة ، بينما ينام الرجال على حصائر من القش،

وكانت النساء مجبرات على تحمّل متطلبات إضافية من طقوس التعذيب [3] الذاتي (...)

(٢) ركنه ليس عليهن واجب (العبادة) مثل الرجال.

(٣) يمارس الرجال التعذيب الذاتي بضرب أنفسهم بأشياء حادة للتكفير عن الخطيئة، وهذا شائع في جانب من العقائد المسيحية، وربما انتقل هذا الطقس إلى الإسلام فيما تمارسه طائفة من (الشيعة) من باب التكفير أيضاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكلّ ذلك كان عقوبة إضافية ، تكفيراً عن الخطيئة الأصلية"

ويقول معلقاً:

"يبدو أن قضمة حواء من تفاحة المعرفة كان دَيْناً، كُتِبَ على النساء أن يؤدينه إلى الأبد" (١)

ويؤكد تأثر (الفلسفة المسيحية) من خلال نصوص (التوراة) إذ "... يخبرنا (سفر التكوين) أنّ حواء خُلقت من ضلع آدم، وبذلك أصبحت المرأة فرعاً من الرجل، والأسوأ هو أنها ارتكبت خطيئة من أجل ذلك"

" لقد كان (سفر التكوين) هو بداية النهاية للأنثى" (٢)

وبالرغم من أن سياق النصّ يدور حول محور (إنسانية(٣) المسيح) علي السلام وأنّ "يسوع كان أول

(١) (شفرة داڤنشي) ص٥٣ .

(٢) نفسه ص٢٦٨.

(٣) وليس (الوهيته).

تحرير المرأة" (١)، فإنّ دور الكنيسة في إضفاء (الصفات الشيطانية) بالأنثى، وتأكيد (السيطرة الذكورية patriarchy) لم تكن إلاّ من فعل الرجل (وليس الربّ).

وأن هذا الإنسان الرجل هو الذي اخترع فكرة الخطيئة وان حواء سبَّبت "طرد الجنس البشري من الجنة إلى الأرض" فأصبحت المرأة (عدو الإنسانية) (٢).

ولهذا يذهب المؤلف إلى أن "الإنجيل هو كتاب من تأليف بشر...

ولم ينزل بوحي من الإله. فهو ابتكار الإنسان الذي أراد تسجيل الأحداث التاريخية في تلك العصور التي طبعتها النزاعات والفتن..." (٣)"

ومن أجل ترسيخ هذه الأفكار المضادة للمرأة عمدت محاكم التفتيش الكاثوليكية إلى معاقبة

(١) شفرة داڤنشي ص٢٧٧.

(٢) نفسه ص٢٦٧ .

(٣) نفسه ص٢٥٩ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(القابلة)- التي تساعد الحامل على الولادة وتخفيف آلامها- بالبحث عنها وتعذيبها وقتلها:

"لأنها تخالف ما أرادته العدالة الإلهية من فرض الآلام على النساء عقاباً لهنّ على ذنب حواء التي أكلت من تفاحة المعرفة..."[1] وأطلق على النساء اللاتي يقمن بذلك أو يقبلنه: (النساء الملحدات ذوات الأفكار المتحررة). ونُشرت تعليمات تبيِّن كيف يتم تتبع (القابلات) ومعاقبتهن وقتلهن.

رابعًا: تأثيرات (الطفولة البشرية) ومراهقتها:

ليس غريباً أن تكون نصوص التوراة ذات تأثير في كل المؤمنين من إتباع الأديان الثلاثة السماوية بخاصة، وفي غيرهم من البشر الذين – من المؤكد – اتصالهم بهم وتواصلهم معهم ، فالبشرية في أول تجربة لحمل تكاليف(الرسالة السماوية) كانت مع (التوراة) التي

(١) نفسه ص ٢٥٩ ، ويشير إلى أن الأناجيل الأربعة (متّى / يوحنا/ ولوقا / ومرقص) تم اختيارها من بين (٨٠) إنجيلاً .

حملها (موسى عليه السلام) والتي أُطلق عليها (اليهودية).

فانتشرت في كثير من مراكز التجمعات البشرية- حينها- في مصر وفلسطين واعتنقها اليهود. وفي هذا دلالة على الاتساع التأثيري فيما بين مصر واليمن والشام، ثم العراق وبلاد فارس، ومع التنقلات والهجرات إلى غيرها من البلدان.

وكان (النص التوراتي) هو المرجعية (للنص الإنجيلي) بعد ذلك، حتى كادت ثقافته تتسرب إلى ثقافات شعوب كثيرة:

- إما بالانتماء أو التبعية المرجعية كما في اليهودية والمسيحية.
- وإما بالتأثير والتأثر القومي أو الاتصالي بين الأمم كما في (اليهودية والعرب).

وفي الحالة الثانية أنتقل تأثير التراث الثقافي اليهودي إلى العرب وأثّر فيهم حتى بعد انتمائهم الديني إلى (الإسلام).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فاليهودية تمثل التجربة البشرية الأولى لمسألة (الدين) (الرسالة) والعلاقة بين الإنسان والإله والكون، ولذلك لاشكّ في انتقال كثير من المفاهيم الحياتية من نصوص التوراة في مجال العلاقة مع المرأة أو النظر إلى مكانة الرجل، وبخاصة وقد مثّل معتنقو اليهودية في الجزيرة العربية قبل الإسلام الفئة الأكثر فهماً للديانات، والعلم بالكتب المنزلة وقراءتها وشرحها لقومهم من العرب في جوانب تاريخ الأمم السابقة وقصصها وأخبارها، ومنها قصة الخلق الأول.

ومن هذا المنطلق لم يجد بعض المفسرين للنص القرآني حَرَجاً في تداول تفاصيل القصص القرآني في كتبهم من خلال ما رواه (الأحبار) اليهود سواء قبل الإسلام أو بعد الإسلام، وسواء تم تداول تلك القصص مع الأحبار الذين اعتنقوا الإسلام أو مع غيرهم.

ولأنّ الأديان الثلاثة تخرج من مصدرية واحدة، فلا بدَّ أن يتشكّل فيما بينها سمات الالتقاء، والاتفاق،

كما يتشكّل بينها التكامل والتمام. وبسبب التدخل البشري في النصوص تأليفاً – كما في التوراة والإنجيل – وتفسيراً وتأويلاً، كما في تفسير القرآن، تنشأ كذلك وتتشكّل ملامح الاختلاف والتباين، وفي كل هذه السياقات يتبدّى روح التناص وفاعليته.

ولعلّ من أهم هذه التأثيرات في الفكر النقدي المعاصر، تناول مصطلح (البطريركية) في النقد العربي، في أثناء تناول النقد النسوي وخلفيته الثقافية.

البطريركية:

هي التسمية التي تطلق الآن على (السيطرة الذكورية في مقابل امتهان المرأة أو تهميشها أو عدم الاعتراف بحقوقها) وتكثر في الكتابات العربية منفصلة عن تأثيراتها الثقافية التي حملها المصطلح.

فهذا المصطلح نشأ أساساً في إطار (ثقافة) النص التوراتي ثم انتقل إلى النص الإنجيلي حتى أصبح سمة على مرتبة كَنَسيَّة ولكنّه في دلالته ظلّ يحمل انحيازاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واضحاً للرجل ضد المرأة ، للأب ضد الأم، وهكذا.

حتى إنَّ فكرة(عدم زواج) رجال الكنيسة قد ارتبط بهذا المفهوم من ناحية ، وبكون المرأة رمز الخطيئة من ناحية أخرى، وإنْ ذهب بعضهم إلى أنَّ عدم الزواج تعبير عن (الاشمئزاز) من المرأة ودونيتها في الفهم الديني عند رجال الكنيسة بالرَّغم من تعارضه مع الطبيعة البشرية.

فالبعد الديني صارخ في هذا التشكيل، وربَّما بيَّن لنا النص القرآني هذا الإحساس وتشكله في حياة الناس قبل ظهور المسيح عليه السلام - في قصه (امرأة عمران) التي مات زوجها وهي حامل فنذرت حملها للعبادة وهي تدعو الله أن يكون ذَكَراً ، ولكن حين وضعتها كانت (أنثى) = مريم عليها السلام ، فقالت: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى﴾

ولذلك لم يكن أمامها سوى عدم الالتزام بنذرها، لأنَّ العبادة والتفرغ للعبادة لله – عندهم حينها -

ليست من حظ الإناث وإنَّما الذكور، ولأنَّها كانت مشركة - حسب الثقافة السائدة – أنَّ المرأة طريق من طرق الغواية أو أنَّها أقرب إلى طريق الغواية والشيطان، فكان تحريرها مبيناً ذلك فقالت:

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

ولا تقف الخطيئة عند المرأة فقط وإنما تتحملها ربَّما من بعدها كما تبيِّن ذلك نصوص التوراة، وأسس الثقافة التي نشأت عنها تلك النصوص.

فكانت في مصطلح (البطريركية) أمام ثقافة تستند إلى حق إلهي مدعوم بنصوص مقدسة تؤكِّدها قصة الخلق وبداية التكوين كما شرحها (سفر التكوين). ولذلك كافحت المرأة في الغرب من أجل تغيير النظرة من خلال تغيير فهم النصوص نفسها وما نتجته من سلوكيات حياتية في القانون والتشريعات والأدب والفلسفة وغيرها من مجالات الثقافة والاتصال، ولم تسلم من ذلك حتى مجالات العلوم البحتة المختلفة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقول إحدى عالمات البيولوجيا (في التسعينيات):

"إنَّ التدريب عاتٍ بطريقة جذابة، لابدَّ أن تعملي وفق (الأبنية الأبوية الذكورية) لكي تشقي طريقك"[1]

وتقول عالمة حيوان أخرى في مقابلة سنة ١٩٩٠م:

"إنَّ الحس السياسي لديَّ يورطني في الاعتراف بأنَّه إذا كانت نوعية العلم أنثوية أو مؤنثة، فإنَّ هذا يجعلها في مرتبة أدنى بشكلٍ أو بآخر"[2].

خامسًا: فكرة الخلود:

تشترك هذه القضية في كل الديانات المنزّلة، ولكن تختلف طريقة ورودها في قصة الخلق بين (نصوص العهد القديم والعهد الجديد) و(نصوص القرآن)، كما تختلف طرق (القراءة) وأدواتها لهذه

(١) أنثوية العلم (العلم من منظور الفلسفة النسوية) د. ليندا جين شفرد، ترجمة د. يمنى طريف الخولي، ص٦٨، عالم المعرفة، الكويت، ط أولى سنة ٢٠٠٤.

(٢) نفسه ص٣٠.

القضية حتى في نصوص المفسِّرين، المفترض أنهم القرّاء الأقرب إلى القارئ المثالي (في مصطلح الفكر النقدي المعاصر).

وما نتواشج معه في هذه القضية قراءة (ما وراء هذه القصة) حيث تدلنا (النصوص) المنتشرة في (النص القرآني) على:

- أنَّ (إبليس) استخدم وسيلتين: وسيلة (الحقيقة الظاهرة) لتُوظَّف في قبول (حقيقة غير ظاهرة).

الأولى: معرفة آدم وزوجه أنهما بشر، وأنهما معرضان (ربَّما) للانقراض، لحقيقة:

(الإفساد) و (سفك الدماء[1]) ولطبيعة الخِلقة المختلفة عن خِلقة (الملائكة) أو (الجن) لكون الإنسان مخلوقًا (للأرض) بوصفه خليفة، ولكن (متى)؟ لم يكن ذلك محددًا في حينه. فهذه حقيقة ظاهرة لآدم وزوجه.

(١) جاء في الآية: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء). البقرة ٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثانية: فكرة (الخلود): (حقيقة غير ظاهرة):

التي أرادها (إبليس) فدغدغت هوىً في آدم وزوجه من جهة أنَّهما يريدان (كمال الطاعة) للإله، وطول الأمد وعدم انقطاعه (في حياة الطاعة) الدائمة (ربَّما: مثل الملائكة[1]).

إذ يعلم آدم وزوجه ما تقوم به الملائكة، ومن آماد حياتها التي لا يُعلم لها بداية ولا انتهاء.

ولأنَّ (آدم وزوجه) لا زالا في طور (تجربة) الخلقة الجديدة، المعتمدة على الإرادة والمسئولية وتحمُّل نتائج هذه المسئولية، فقد كانت هذه (أول تجربة) يمارسها (البشر)، فتَقَوَّى موقفُ إبليس الحواري من خلال (القَسَم: اليمين) ولم يدُر بخلد آدم وزوجه – حينها – إمكان أن يُقسم مخلوق كذبًا على الخالق.

وباجتماع هذه الأمور (مارسا تجربتهما: فأكلا من الشجرة) فتحقَّق (لإبليس) ما أراد من قدرته على

(١) ولذلك عبدت بعض الشعوب (الملائكة) تقرُّباً.

مخالفتهما لأوامر الإله، وفي الوقت نفسه ستطيعة الخلقة الجديدة فمارس الإنسانُ (تجربةَ إرادته ومعرفةَ تصرفاته) فخالفَ الأمرَ وأدركَ الخطأ وتعلَّم تصحيح الخطأ، فأصبح مؤهلاً لاستعمار الأرض والسيطرة عليها.

يبدو من سياق النصوص – المخصصة للخلقة – أنَّ الإنسان ما كان له أن يتحول إلى ممارسة (استعمار الأرض) مع فقدانه للقدرة على التعامل مع الإرادة، فكانت تجربته الحوارية مع إبليس تحمل في ثناياها ذلك الصراع بين الإقدام والإحجام، بين الاتكاء على الحقيقة الظاهرة) والتخوّف من (الحقيقة الغائبة) بما يوحي به كلمة (وَسْوَسَ) من دلالات (التردد)، وأسلوب القسم) الذي عكس عدم إتاحة الفرصة للتفكير العميق عند آدم وزوجه عليهما السلام، وبخاصة مع أدوات التأكيد وأسلوب الجزم سواء في:

إني لكما.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو

في استخدام حرف (من) متعلقة بـ (الناصحين) في قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾

وكأنّنا أمام (حصارٍ) عقلي ونفسي يصدر من صاحب خبرة وتجربة تجاه مخلوق، هذه الحالة أول تجربة له في الحوار والمنطق والاختيار.

ونستوحي من هذه القراءة – أيضًا – أنّ الإنسان قد تعلّم كيف يستجيبُ لأهوائه ونوازعه ورغباته في مقابل تناسي (الالتزام) أو (النظام) أو (القواعد) التي تربط علاقته بما حوله وهو أول كائن يتاح له هذا (التجريب) وذلك لتأهيله لقيادة الحياة في (الأرض).

وبهذا نستطيع أن نقرأ من قصة الخلق أنّ آدم وزوجه لم يكونا غبيين أو ضعيفين بحيث يحركهما (إبليس) كما يشاء، وإنّما – إلى جانب فكرة التردد وعدم التنفيذ مباشرة – كانا على وعي وإدراك يتلاءم تماماً مع مسألة الاستخلاف أو (إدارة الأرض) والسيطرة

على الكون.

وإذا كانت قراءة النصّ المتعلّق بالخلقة وبدء الحياة الإنسانية قد تبدّت في مؤشرات استجابة (آدم وزوجه) النصيحة (إبليس)، فإنّ تشكيل النص يكشف – أيضًا – عن أنّ (آدم وزوجه) لم يريا في (الأكل من الشجرة) تعارضًا مع الأمر بالنهي من حيث النتيجة وهي: (الإخراج من الجنة).

إذ لم تبدُ لهما – في هذه التجربة الأولى للإنسان – العلاقة بين (الأكل من الشجرة) و (الطرد من الجنة)، ولم يكن في نصّ حوار إبليس معهما ما يشير إلى أنه يسعى إلى (إخراجهما = طردهما من الجنّة)، فالعداوة تسلطت بدءًا برفضه السجود:

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [1].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى في السياقات النصيّة الأخرى:

﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

فلم تتضح لهما العلاقة السببيّة بين مخالفة النهي - (الأكل من الشجرة) وأن تكون نتيجة عصيان الرب هي (الإخراج من الجنة) ومن ناحية أخرى لم ترتبط محاولات (إبليس) بهدف (الإخراج من الجنة) في سياق النص، بمعنى أنَّ الحوار والسرد النصّي لم يشتمل على مثل هذا الهدف بوضوح أيضًا.

وهذا يقودنا إلى قراءة القراءة، بأنَّ الإنسان - رجل أو امرأة - لا يمكنُ أن يكون كاملاً ولا معصومًا.

فكرة (العصمة) في قصة الخلق:

اعتمدت القصة في النصِّ القرآني على (شجرة) واعتمدت في النص التوراتي (في العقيدة اليهودية والمسيحية) على (شجرتين) وإذا كان (الأكل من

(١) البقرة ٣٥.

الشجرة سرًا (للخلود) في النص القرآني، فإنَّ (الأكل من الشجرتين) سيرر (للخلود) في الأولى و (للعرفان) في الثانية.

وبقراءة النص التوراتي تُبيِّن بحث الإنسان عن الكمال الإلهي الذي لم يستطع الوصول إليه، فأكل من الشجرة التي تقوده إلى (العرفان) - المعرفة المطلقة - وخروج من الجنة قبل أن يأكل من الشجرة الثانية.

وكلا القصتين وما ارتبط بهما من الاستجابة للأمر (المعصية) في نصوص الديانات الثلاث السماوية تكشف عن حقيقة أن (الإنسان) (ذكرًا أو أنثى) ليس كاملاً، وأن (النقص) سمة من سماته، وأن الطبيعة البشرية هذا هو تركيبها، ولذلك فلا مجال لأي قول يذهب إلى: إضفاء (العصمة) لأي إنسان.

بل إنَّ الخطاب الذي قدَّمه النص يؤكد على (عدم العصمة) لأي إنسان حتى إن كان (نبيًّا مرسلاً)، إذ كان التطبيق العملي في النصوص على (آدم) نفسه،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا ضَير إذا قلنا إن قراءة النص تُبلوِر شخصية (النبي/ الرسول) في محالين:

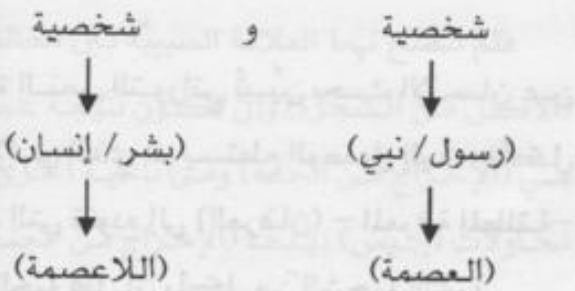

فإذا أدى التحليل إلى هذا الشكل الذي يمثل أرقى وظائف الإنسان في الحياة (أي عند النبي أو الرسول)، فإن غيره من البشر لا يمكن أن تتوفر لهم (شطرية العصمة – كما للرسل والأنبياء – .

وهذا امتداد واضح لفكرة اختبار الإرادة وإعمال العقل واكتشاف الأخطاء وتعلّم كيفية تجاوزها، حتى يستطيع الإنسان المشاركة في بناء الحياة والتآلف مع غيره من بني البشر.

في مجال الفكر النسوي لا نبعد عن النقد النسوي، والأخير نشاط فكري ممنهج في إطار الفكر النسوي، وبعدّ تجليًا لمشكلة (خطاب المرأة) "وبداية تكمن النقد النسائي الأهداف السياسية لنظرية المساواة بين الجنسين)[1]، حيث حكم على المؤلفين والنصوص وفقًا لمقدار مسايرتهم للأيديولوجيا النسائية"[2].

ويسير البحث فيه في اتجاهين[3]:

- اتجاه البحث في الكيفيات التي تم فيها تمثيل الشخصيات النسائية في النصوص المدروسة.
- اتجاه البحث في كتابات النساء، أي (المرأة بوصفها كاتبة).

(Feminism).

الأدب النسوي في القرن العشرين، ص٢٧٦.

ص٢٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن إضافة اتجاه ثالث يتمثل في:

❖ صورة الرجل في الكتابات النسوية [1].

ولا يستطيع واقع هذا النقد أن يقرأ دلالات هذا التصوير بدون العودة للمؤثرات الثقافية، وهذا ما توصلت إليه كثير من الدراسات المعاصرة وبخاصة في مجال البحث في النسوية أو التناص وغير ذلك، كما توصلت إليه الباحثات النسويات مثل[2] (جوزفين دونوفان) و (آلين شوالتر).

وكما تم البحث في الإبداعات الأدبية ظهرت المتابعات للمساهمات النسوية في التسعينات من القرن العشرين في مجال (تاريخ العلم) والممارسة (العلمية) وتبدّى الجهد النسوي في أربعة اتجاهات[3]:

(١) انظر مثلاً: صورة الرجل في القصص النسائي، سوسن ناجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط أولى ٢٠٠٦.

(٢) انظر: مقالتين للباحثتين ص٢٧٦ وما بعدها، وص ٢٨٢ وما بعدها، في (نظرية الأدب في القرن العشرين).

(٣) أنثوية العلم، ص٦٨.

- تبيان أنّ النساء قادرات على ممارسة العلم.
- إزاحة العقبات التي تعوق النساء عن الإسهام في العلم.
- تصحيح المعلومات الخاطئة عن بيولوجيا المرأة.
- نقد قيم العلم وأهدافه.

وفي دراسات (ليندا شيبنجر) (صدرت سنة ١٩٨٧) اتخذت أربع مقاربات[1] تصورية اضطلعت بها مختلف ممارسي النسوية):

المقاربة الأولى: تبحث عن إعادة اكتشاف إنجازات النساء العالمات المجهولات.

المقاربة الثانية: تتقصى المجالات المحدودة المتاحة للمرأة في مضمار إنتاج العلم، وتاريخ إسهام النساء في المعاهد العلمية، والوضع الراهن للمرأة في هذه المهنة.

(١) انظر ص٣٥٦ - ٣٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقاربة الثالثة: تحلل كيفية تحديد العلوم البيولوجية والطبية لطبيعة المرأة، لتخبرنا بما هو عادي وطبيعي.

المقاربة الرابعة: تتفحص مواطن الاعوجاج في قواعد ومناهج العلم التي تؤدي إلى استبعاد المرأة.

وقد يكون من المهم التأكيد على (مباحث النقد الثقافي) ودورها المعاصر في محاولة تجاوز الإغلاق النصي للفكر النقدي والمنهجي فيما قبل نشوء مناهج ونظريات (ما بعد البنيوية)، وحتى لا تقع صور المرأة ضمن مقاربة لا تراها إلاّ " ... بوصفها أشياء ضمن سلسلة مكانية / زمانية متصلة، وليس لها فائدة إلاّ بمقدار ملاءمتها للرؤية الجمالية التي صاغها ... "[1] الفنان.

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين، ص٢٧٨ (كما تتخوف : جوزفين دنوفان).

وأصلاً فكرة (الخطاب) نفسها تدفعنا إلى مثل هذا التحفظ، التي لا يعني عدم الانطلاق من النص نفسه أو من اللغة نفسها، حيث إنّ "الموضوعية في البحث اللغوي والسلاني لا تلغي وقوف الباحث على درجات السلم النسبي، بل كثيرًا ما يكون الانتماء الأخلاقي والالتزام بمواثيق الحق الإنساني والانخراط في معايير العدل الخلق، هي التي تحفّز الباحث على أن يرى في علاقة اللغة بالسياسة ما لا يراه غيره "[1].

وكانت الدراسات النسوية قد توصلت إلى مثل ذلك، إذ تبيّن أنّ ما أضرّ بالمرأة في المناهج النقدية المتحيزة إصرارها على البعد الجمالي دون البعد الأخلاقي، فرأى الفكر النسوي: "أن البعد الجمالي للأدب والفن السينمائي لا يمكن أن يُفصل عن البعد الأخلاقي ـ " وأنّ "التحليل اللغوي والدراسات العلاماتية يمكن أن تقول لنا الكثير عن كيفية التعبير عن

(١) السياسة وسلطة اللغة، د. عبدالسلام المسدي، ص١٠، الدرا المصرية اللبنانية، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقاربة الثالثة: تحلل كيفية تحديد العلوم البيولوجية والطبية لطبيعة المرأة، لتخبرنا بما هو عادي وطبيعي.

المقاربة الرابعة: تتفحص مواطن الاعوجاج في قواعد ومناهج العلم التي تؤدي إلى استبعاد المرأة.

وقد يكون من المهم التأكيد على (مباحث النقد الثقافي) ودورها المعاصر في محاولة تجاوز الإغلاق النصي للفكر النقدي والمنهجي فيما قبل نشوء مناهج ونظريات (ما بعد البنيوية)، وحتى لا تقع صور المرأة ضمن مقاربة لا تراها إلاّ " ... بوصفها أشياء ضمن سلسلة مكانية / زمانية متصلة، وليس لها فائدة إلاّ بمقدار ملاءمتها للرؤية الجمالية التي صاغها ... "[1] الفنان.

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين، ص٢٧٨ (كما تتخوف : جوزفين دنوفان).

فكرة (الخطاب) نفسها تدفعنا إلى مثل هذا التحيز، التي لا يعني عدم الانطلاق من النص نفسه أو من اللغة نفسها، حيث إنّ "الموضوعية في البحث اللغوي والدلالي لا تنفي وقوف الباحث على درجات السلم القيمي، بل كثيرًا ما يكون الانتماء الأخلاقي والالتزام بمواثيق الحق الإنساني والانخراط في معايير العدل المطلق، هي التي تحفّز الباحث على أن يرى في اللغة بالسياسة ما لا يراه غيره "[1]".

وكانت الدراسات النسوية قد توصلت إلى مثل ذلك، إذ تبيّن أنّ ما أضرّ بالمرأة في المناهج النقدية المعاصرة إصرارها على البعد الجمالي دون البعد الأخلاقي، فرأى الفكر النسوي: "أن البعد الجمالي والفن السينمائي لا يمكن أن يُفصل عن البعد الأخلاقي ... " وأنّ "التحليل اللغوي والدراسات العلاماتية يمكن أن تقول لنا الكثير عن كيفية التعبير عن

(١) السلطة اللغة، د. عبدالسلام المسدي، ص١٠، الدرا المصرية اللبنانية، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأيديولوجيات الثقافية في شكل أدبي ... لكن الأسلوب لا يمكن أن يكون ذا أهمية إنسانية عندما يُدرس في سياق النظرة الأخلاقية إلى المرأة من جانب المؤلف أو الثقافة[1]".

وحينما يتم الحديث عن (النسوية) فإنّ واقع الحال أننا أمام تيارات نسوية متعدّدة، وهذا التعدّد يكمن وراءه (خلفية ثقافية) عامة كما نجد بين (النسويات الغربية = البيضاء) من جهة والنسويات السود في الغرب مع نسويات العالم الثالث من جهة أخرى. وكذلك في (الخلفيات الثقافية) الأصغر، والتي تتعدّد بسبب الانتماء الفكري: ليبرالي – اشتراكي – ما بعد حداثي – (...).

وهذا الوجود الفعلي في (النسويات) يعكس وجودًا ثقافيًا وفكريًا تكمن إحدى تجلياته في (النقد النسوي) وتعدّد وسائله في النظر إلى موقع (المرأة) في

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص٢٧٨ و ٢٨١.

الآداب والثقافة (الذكورية) أو (الذكورية/

يمكن أنْ نضيف أنَّ مثل هذا الواقع يؤكد ليس بالضرورة أن تكون (المقولات النسوية) هي نفسها التي تظهر في (الغرب)، بل ذهبت بعض الدراسات إلى تحميل (المرأة البيضاء) مسئولية المشاركة في الاضطهاد الذي وقع على المرأة السوداء في الغرب من جهة والمرأة السوداء بشكل عام ومعها المرأة في العالم الثالث من جهة

ذلك فالقهر الذي وقع على المرأة السوداء والمرأة في العالم الثالث يعدُّ "قهرًا مضاعفًا، قامت به ثقافاتهن

من سيطر على كتابات (المبدعات) الرؤية نفسها عن (المرأة) فتصاغ صورتها كما في الثقافة المسيطرة، إذ ليس بالضرورة أن يكون الأدب أو الثقافة التحيّزة ضد المرأة نتاجًا من (الرجال) فقط، وهي تعكس التحليل الذي تبناه (فوكو) و (إدوارد سعيد) حول العلاقة بين: المعرفة والقوة والسلطة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأيديولوجيات الثقافية في شكل أدبي ... لكن الأسلوب لا يمكن أن يكون ذا أهمية إنسانية عندما يُدرس في سياق النظرة الأخلاقية إلى المرأة من جانب المؤلف أو الثقافة[1]".

وحينما يتم الحديث عن (النسوية) فإنّ واقع الحال أننا أمام تيارات نسوية متعدّدة، وهذا التعدّد يكمن وراءه (خلفية ثقافية) عامة كما نجد بين (النسويات الغربية = البيضاء) من جهة والنسويات السود في الغرب مع نسويات العالم الثالث من جهة أخرى. وكذلك في (الخلفيات الثقافية) الأصغر، والتي تتعدّد بسبب الانتماء الفكري: ليبرالي – اشتراكي – ما بعد حداثي – (...).

وهذا الوجود الفعلي في (النسويات) يعكس وجودًا ثقافيًا وفكريًا تكمن إحدى تجلياته في (النقد النسوي) وتعدّد وسائله في النظر إلى موقع (المرأة) في

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص٢٧٨ و ٢٨١.

الإبداع والثقافة (الذكورية) أو (الذكورية/

يمكن أنْ نضيف أنّ مثل هذا الواقع يؤكد ليس بالضرورة أن تكون (المقولات النسوية) هي نفسها التي تظهر في (الغرب)، بل ذهبت بعض الدراسات إلى تحميل (المرأة البيضاء) مسئولية المشاركة في الاضطهاد الذي وقع على المرأة السوداء في الغرب من جهة والمرأة السوداء بشكل عام ومعها المرأة في العالم الثالث من جهة أخرى.

فالقهر الذي وقع على المرأة السوداء والمرأة في العالم الثالث يعدُّ "قهرًا مضاعفًا، قامت به ثقافاتهن

من تسيطر على كتابات (المبدعات) الرؤية نفسها عن (المرأة) فتصاغ صورتها كما في الثقافة المسيطرة، إذ ليس بالضرورة أن يكون الأدب أو الثقافة المتحيّزة ضد المرأة نتاجًا من (الرجال) فقط، وهي تعكس التحيّز الذي تبناه (فوكو) و (إدوارد سعيد) حول العلاقة بين: المعرفة والقوة والسلطة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمن جهة] كما قام [به] الاستعمار والاستغلال الغربي الحديث، ونفّذه كل من الرجل والمرأة البيضاء [من جهة أخرى].

فتاريخيًا مارست المرأة البيضاء الغربية القهر على شقيقاتها الملونات والجنوبيات لتبني الأولى تراتبية قائمة بأفضلية الثقافة الغربية على ما عداها من ثقافات، فحرصت على المشاركة في تصديرها وفرضها على النساء الملونات بدعوى رغبتها في النهوض بهن، ومن هنا كانت شريكةً كاملة للرجل الأبيض في استعمار الشعوب واستعباد الملونين[1]*.

ولعلَّ هذا كله لا يبعد عن الإطار العام في الخطاب الغربي تجاه (الآخر) الذي تحددت (المرأة) بوصفها عنصرًا من عناصره، ولذلك – أيضًا – شاع في الخطاب الاستعماري تأسيس هذه الرؤية ليس فقط من حيث

(١) انظر: الأدب والنسوية، بام موريس، ص١٢، ترجمة سهام عبدالسلام، والنص المقتبس للمراجعة ومقدمة الكتاب (سحر صبحي عبدالحكيم)، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة – ط أولى سنة ٢٠٠٢.

النظر [النسوية] تجاه (الآخر) (رجلاً أو امرأة) (جماعات أو [مجتمعات] بإمكانية (التخلّص) منه ولو بالقتل أو [التهجير] الجماعية:

[حتى] بدت هذه النظرة الاستعلائية منتشرة منذ [القرن] التاسع عشر الميلادي في مختلف مجالات الفكر [الغربي]، وهي تعلن أنّ (الاستعمار خدم الحضارة [بتحرير] المستأصل (الأعراق) الأدنى من الأرض[1])[1].

[ملحوظة]

تسعى هذه القراءة إلى التوصل إلى المؤشرات العامة [في] الثقافة الغربية في قضية (خطاب المرأة)، وفي سبيل [تحقيق] هذا الهدف تضع إطارها العلمي في محاولة [للتركيز] على خلفية الثقافة (معرفيًا) ثم سلوكًا) من [خلال] قراءة النصوص ذات التأثير وتجلياتها، وبخاصة [من] خلال نصوص (النقد الثقافي) الذي تقع (النسوية) [في] الكثير التماس تحت عباءته، وربّما تَبدَّت أيضًا في

(1) *Good Muslim, Bad Muslim, PP 6 –13* .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحاور التي اختطتها الدراسة وهي:

- المحور الأول: (النسوية) (حول المصطلح والمفهوم).
- المحور الثاني: الخلفية المعرفية لخطاب المرأة (في الكتاب المقدس).
- المحور الثالث: الخلفية المعرفية لخطاب المرأة (في الموروث الثقافي).

وكل ذلك بعد أن شكّل التمهيد المرتكزات الأساس للخلفية الفكرية التي تلج فيها الدراسة، وفي الوقت نفسه كونها إطارات عامة لها، بحيث يرتسم بين محاور الدراسة والتمهيد (تيار جدلي) متناغم لا متنافر.

النسوية

المصطلح والمفهوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النسوية: المصطلح والمفهوم

تذهب ساره جامبل إلى أن (النسوية) تعني:

"الاعتقاد بأنَّ المرأة لا تُعامل على قدم المساواة – لا لأي سبب سوى كونها امرأة – في المجتمع الذي ينظِّم شئونه ويحدِّد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته[1]".

وأن (النسوية) توصف بأنها:

"نضال لإكساب المرأة المساواة في دنيا الثقافة الذي يسيطر عليه الرجل[2]".

وهي في ذلك التحديد لمجال الفهم لهذا المصطلح وتبعاته تؤكد – في زمن إصدارها لكتابها سنة(٢٠٠٠):

(١) النسوية وما بعد النسوية، ص١٣. المجلس الأعلى للثقافة (ترجمة: أحمد الشامي) القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٢م.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤.

ليس من قبيل المبالغة القول بأنَّ النسوية تعدُّ من أكثر الحركات إثارة للجدل في القرن العشرين، وبأنَّ تأثيرها يظهر في كلِّ جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في مختلف أنحاء العالم[1]".

النسوية *Feminism*:

هي – بشكل عام – ((كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية، الذي يجعل الرجل هو المركز، هو الإنسان، والمرأة جنساً ثانياً أو(آخر) في دونية التي))

ويلفت نظرنا – ويجب ذلك – أنَّ الحديث عن النسوية في الفكر الغربي قد انطلق من خلفية معرفية تقوم على (فكرة): **"النظام الأبوي"**

حيث تصبح المرأة: "كل ما لا يميِّز الرجل، أو

(١) المصدر نفسه، ص ١٣.
(٢) المجلس الأعلى، ص١١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كل ما لا يرضاه لنفسه"[1].

والنظام الأبوي (*Patriarchy*):

نظام معرفي في الثقافة الغربية يعني:

لسلطة (الأب/ الرجل) في إدارة الأسرة أو المجتمع أو الكنيسة].

ويعود في أصله إلى:

آباء القبائل الإسرائيلية – بوصفه يقوم على مرجعية (توراتية) – ثم في العهد الجديد أصبح يدل على موقع تشريفي لأساقفة الكنائس (بطريرك) (*Patriarch*)[2].

وهي سلطة مطلقة تمنح تحت مشروعية (دينية/ سماوية) ثم إقرار مجتمعي بها وبعد ذلك انعكست في

(١) النسوية ومابعد النسوية ص١٤.

(٢) أحد آباء الجنس البشري (في التوراة) ، الأب/ المؤسس. انظر: معجم المورد، وانظر:

- *Simon Blackburn, Oxford Dictionary of Philosophy.*

الفكر الغربي منذ أرسطو حتى القرن العشرين في كل مجالات الفكر والثقافة وكذلك في التشريعات والقضاء. ومن منطلق هذه الخلفية المعرفية تقول الفيلسوفة وعالمة اللاهوت (ماري ديلي *Mary daly*):

"إنّ الدور الأساسي لمفهوم الرب في كل الأديان[1] هو إضفاء المشروعية على مؤسسة النظام الأبوي ... فالرجل الذي تشكّل في صورة الرب هو وحده الذي يمكن أن يدّعي التمتع بوضع (الشخص) في حين أن المرأة تُصوَّر على العكس منه باعتبارها (غير شخصي)[2]".

(١) الفرق في مفهومها للأديان بين هذه الأديان كما بدت من مصدرها الأول/ الله تعالى. وبين التجلي الكتابي للدين اليهودي والمسيحي في ما (ألف) أسفار كتب (العهد القديم) و (العهد الجديد)، وهو ما لا يتطابق مع التجلي الكتابي للدين الإسلامي) الذي يعتقد المسلمون حقيقة أن هذا النص من عند الله وليس من عند أي بشر. وانظر:-

- ***Robert Irwin, The Penguin Anthology of Classical Arabic Literature,. (penguin group U.S.A. 1999) , p 30.***

(٢) النسوية وما بعد النسوية ص٢٠٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيث أصبح المسيح عليه السلام (شخصًا) أي صورة للرب في العهد الجديد، وانعكس ذلك في آباء الكنيسة / الرجال، ثم في الثقافة، وهي في ما تقوله تريد الفصل (بين التشخيص والنوع[1]) بسبب أنَّ هذا التشخيص كان للرجل وأُعطِيَ تعاليًا على المرأة (تشريعًا).

ويُشير إنجيل (يوحنا) إلى مثل ذلك حيث إنَّه في المسيحية:

"صارت كلمة الله إنسانًا، كي يصير الإنسان آلهة[2]"

وهو ما سنلمسه في التأثير (العقيدي) على الثقافة والسلوك ومنها الموقف من المرأة؛ لأن (الإنسان) هنا هو (الرجل) وليس المرأة، كما جاء في أصل القصة في (سفر التكوين) (أنظر مبحث: الموقف من المرأة في الكتاب المقدس).

(١) نفسه ص٣٠٩.

(٢) سلطة النص، عبدالهادي عبدالرحمن، ص٦٩، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ط أولى ١٩٩٨.

وتبدَّى التجسيد في قوله:

"والكلمة صارت جسدًا وحلَّ بيننا[1]"

وتعيد عدد من الدراسات إحدى موجات النسوية النشطة في القرن العشرين إلى الستينات وتصاعدها حتى الثمانينات، وترى أن ما حملته من (نماذج مكررة):

"تعكس وجهات النظر للنساء البيض في الطبقة المتوسطة في الشمال الأمريكي وفي الغرب الأوروبي تحديدًا[2]".

وهي الفكرة التي صدَّر بها المترجم تحليله لموضوعات الكتاب، إذ بدا أنَّه:

"من الملفت للنظر ... أنَّ فكرة عمومية التجربة النسائية أو عالميتها، هي موضع للخلاف داخل الحركة

(١) نفسه ، وانظر ص٧١.

(2) *Linda J. Nicholson (Edited), Feminism/ Postmodernism, (Routledge, NewYork 1990) P.10.*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النسوية نفسها، حيث ترى بعض الأصوات المنتمية إلى العالم الثالث، أنَّ الحركة التي تهيمن عليها الأصوات الغربية احتكرت الخبرة النسائية عندما جعلت من النموذج الغربي نموذجًا صالحًا للجميع، وبدأت للتنظير لخبرة المرأة في كل زمان ومكان على هذا الأساس[1]".

وهذا ليس رأيًا مستنبطًا من (المترجم) ولكنه ما أكدته الدراسات المنشورة في كتاب: (سارة جامبل) مثل:-

- النسوية والعالم النامي – لـ (ألكا كوريات) (أنظر ص١٠٧).
- ما بعد النسوية – لسارة جامبل (انظر ص ٨٩).

ومن خلال هذه المقدمة نستطيع استنباط جانبين للخلفية المرجعية للفكر النسوي وللدعوات التي حملتها المرأة في الغرب، والتي أثّرت بها في كثير من بلاد

(١) النسوية وما بعد النسوية (مقدمة المترجم) ص٩.

العالم تحت شعار (حقوق المرأة) أو (اضطهاد المرأة) أو (المساواة بين الرجل والمرأة) وغيرها من الكتابات التي تقرأ الشعر والرواية والنقد قراءات جديدة كما تقرأ كل نص قراءة مغايرة، سواء لاستنباط ملامح السيطرة الذكورية، أو للانتصار للظواهر النسوية في تلك الكتابات، حتى توصّلت – بعضها – إلى تقرير أنّ الأعمال الأدبية "أنكرت تاريخيًا الإنسانية الكاملة للمرأة[1]".

وتتجلى الخلفية المعرفية في شقين رئيسين هما:

- الكتاب المقدس.
- التراث الفكري من أرسطو حتى القرن العشرين.

وقراءة حول هذين المرجعين تمكّننا من تبيين دورهما في تشكيل مفهوم (النسوية) ودعواتها، كما يمكن أن يقودنا إلى تبيان (زاوية) الافتراق حين نسأل:

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين، ص٢٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا كانت المرأة في الغرب قد خضعت لقهر واضطهاد، وكان هذا الواقع قائمًا على (نصوص مقدسة[1]) تصرّ على إيجابية هذا التصرف ضد المرأة من قبل الرجل، فهل ينطبق ذلك على (النصوص المقدسة) في دين[2] آخر، أو معتقدات[3] أخرى؟!.

وبالطبع فإنَّ تأثير النصوص المقدسة كان قويًا على الفكر الغربي، نظرًا لأنه أصبح في نتائجه (معرفة) تنظم علاقات الناس:-

- من ناحية الرجل والمرأة أو من ناحية الطبقات.
- أو من ناحية (العرق) أو غير ذلك، أو حتى من زاوية النظر (للآخر) منذ أرسطو وحتى الثورة الفرنسية.

(١) العهد القديم والعهد الجديد: التوراة والإنجيل (...).

(٢) مثل (القرآن) (النص المقدس في الإسلام).

(٣) في إفريقيا أو شرق آسيا مثلاً.

وهنا يقودنا إلى تساؤل آخر:

إذا كان الفكر النسوي الغربي قد قام على قراءة النصوص المقدسة التي تحدِّد مكانة المرأة وعلاقتها بالرجل، فهل تكون قراءتنا للفكر النسوي (العربي/الإسلامي) من خلال إسقاط ما قيل في الغرب؟ أو تكون قراءتنا (لقراءة) تراثية محدَّدة للنص القرآني مرجعًا[1] لتحديد مكانة المرأة في لغة النص القرآني وأسلوبه؟!.

وهل يمكن تصحيح ذلك بأن نقول:

إنَّ (المعرفة) تنتج من عودتنا إلى استلهام (النص القرآني) نفسه من ناحية، ومراجعة (قراءات) كثيرة صدرت عن هذا النص من ناحية أخرى، حتى لا تكون (قراءة فلان من الناس) هي المرجع الأساس أو الوحيد في تحديد الفكر النسوي أو موقف الفكر والسلوك من المرأة.

(١) كأن نقف عند تفسير الطبري فقط أو اثنين من المفسرين لنخرج من تفسيرهما موقفًا من المرأة في (النص القرآني)؟!.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(والمعرفة تنتج القوة) أو (المعرفة هي القوة) هذه الأمثولة التي ظلت تشكّل رؤية في الغرب نحو التجاوز والتطور والإبداع، وهي نفسها التي ستخرجنا من كوننا متلقين فقط إلى دائرة التفاعل الإبداعي.

لقد استخدم هذا الشعار الفكر الغربي، واستخدمته مؤسسات (الاستشراق)[1] منذ وقت مبكر، وهم يترجمون تراث الشرق ويدرسونه ويبحثون فيه عن جوانب القوة، واستخدمه (ميشيل فوكو) في نظريته المعاصرة، وهكذا.

إن فكرة المعرفة في إنتاجها للقوة في إطار الفكر النقدي، والفكر النقدي النسوي (أثرًا وتأثيرًا – يتبدّى في (اللغة) التي يصاغ بها الفكر وتتحدّد بها العلاقات، وتتبلور فيها المواقف من هذا (الكائن/ الآخر) ومكانته، حتى وإن تم تجاوز (الاعتقاد) بالكتاب المقدس – في الغرب – وحلّت (مركزية

(١) انظر: الاستشراق ص ٤٤. ودليل الناقد الأدبي ص٣٧.

الإنسان) محل (مركزية الله) في الكون، فإنه قد حفّ في الفكر الفلسفي سطورًا ظلّت جذورها ممتدة إلى (النص المقدس) في التوراة (بل في العهدين: القديم والجديد) وبخاصة وأنّ من (ألّف)[1] ورتّب نصوصه على مدار التاريخ (شخصيات / رجال) كان عليهم عبء تأليفه، وتفسيره بعد ذلك. فالأناجيل "إيحاء من الله إلى الكنيسة الأربعة، لكنها ليست وحيًا مباشرًا من الله"[2].

ولأن النقد الأدبي جزء من الفكر فقد حمل الفكر الفلسفي هذه الرؤية من النص المقدس منذ أرسطو حتى القرن العشرين مرورًا بمفكري (الثورة الفرنسية) وانسحب كل ذلك على الإبداع شعرًا ورواية ونقدًا أدبيًا، حتى بدأت (الثورة) النسوية تأخذ مكانها في دحض هذا الموقف الذي جعل المرأة في موضع

(١) انظر مثلاً: مقدمة الكتاب المقدس، (ص ٣٠ ، ٣١ ، ٤٤) وانظر مثلاً: هوامش التفسير والمدخل ص (٥٢ ، ٦٦ ، ٦٩).
(٢) سلطة النص ص٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الدونية) والرجل في موضع (التعالي).

ولكي تكتسب (المرأة) (قوةً) في الدفاع ثم في تغيير النظرة ثم في إثبات الذات، كان عليها أن تكتسب (المعرفة) وهو ما فعلته (المرأة الغربية) بل إننا نجد لدى المرأة في الغرب قراءات جديدة للكتاب المقدس، وتفسيرًا متميزًا لمكانة المرأة مغايرًا تمامًا لما (فُرض) من تفسيرات على مرِّ القرون. ولا يعني هذا أن أي قراءة جديدة للكتاب المقدس – القرآن مثلاً بالنسبة للخطاب النسوي العربي الإسلامي – تعني تحولاً في الموقف من المرأة، ولكنها بدايات لتصحيح الرؤية إذا قامت على منهج يتسم بالعلمية في التناول والإجراءات، مع ضرورة فهم فكرة (التحيُّز) الثقافي الذي يجعل من كل مصطلح نتاجًا لبيئة ثقافية معينة، بمعنى:

"ارتباط الثقافة ومنتجاتها بالخصائص المميزة لتلك الثقافة، وبالظروف الزمانية والمكانية التي حكمت

تشكُّل) تلك الثقافة ومنتجاتها في مرحلة معينة [١]".

ويكون نقل الثقافة ومنتجاتها من حيِّزها الثقافي إلى حيِّز ثقافي آخر سببًا في خلق (عوائق) كثيرة تقف أمام فهم تلك الثقافة والوعي بها.

وهكذا:

"تكون الثقافة في حالة تحيزها متأصلة في جذورها بحيث ينبغي إرجاعها إلى تلك الجذور وصولاً إلى فهم وتعاملٍ أفضل مع الثقافة [٢]".

وهذا يعني أنَّ دراسة (خطاب النسوية) وفلسفتها التي تقف وراءها تقتضي أن نعود إلى (الخلفية المعرفية) التي شكلت هذا الخطاب في الغرب - يمكن لباحث بعد ذلك أن يعود إلى ما يوازيه في الثقافة العربية / الإسلامية بوصفه خطابًا شاع في الكتابات المتأخرة بأنه

(١) دليل الناقد الأدبي ص١٠٢. وانظر: فكرة (المعرفة والقوة) وعلاقتها بالثقافة عند (فوكو) في تحليل إدوارد سعيد، المنشور في: نظرية الأدب في القرن العشرين ص١٧٤ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

امتداد للموقف نفسه من المرأة في الغرب، واستجلاء صواب هذا الرابط أو خلوّه من موطن الصواب أو غير ذلك -

ولعلّ ذلك كله يذكرنا بالتأصيل الذي ساقه د. طه عبدالرحمن في كتابه (روح الحداثة) حين جعل هذا (المنهج) في تتبع دلالة أي مفهوم من المفاهيم ضرورة لابدّ منها ، فكلّ مفهوم له (مجاله التداولي) وحين يُنقل إلى (مجال تداولي) آخر، نجده يحمل خصوصية المجال التداولي الذي أنتجه، فإذا تم قبوله كما هو حدث: **"محو خصوصية المفاهيم المأصولة"**[1].

وإذا أسقطت عليه مفاهيم المجال التداولي الجديد، ولم يتم الاعتداد بخصوصية مجاله التداولي الخاص به ، حدث:

"محو خصوصية المفاهيم المنقولة"[2].

وبالتالي فهذا (المحو) يؤدي إلى ارتباك شديد فيما

(١) (٢) روح الحداثة ص١٢ – ١٣ (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط أولى ٢٠٠٦). وهو يضع (الوافد أو المستورد من الغرب) تحت مصطلح (المنقول)، ويضع المفاهيم العربية الإسلامية تحت مصطلح (المأصول) وله تبرير وتحليل مقنع لهذا التشكيل.

يواجهه من مصطلحات منقولة ولا خروج من هذه (التيه الفكري) – كما يقول – :

"ما لم يهتد – المجتمع المسلم – إلى إبداع مفاهيمه أو إعادة إبداع مفاهيم غيره"[1].

ويضرب لذلك مثلاً بالعلاقة مع مفهوم (الحداثة) وأن المجال التداولي لإنتاجها في الغرب جعلها[2]:-

"حداثة ذات توجه مادي" لا مجال فيها للقيم الأخلاقية.

وهو يرى أن على المجتمع المسلم أن يقبل الحداثة ولكن بالتصور الذي ينتجه (المجال التداولي) الإسلامي، فهي:-

"حداثة ذات توجه معنوي" تعتدُّ بالقيم الأخلاقية.

(١) المصدر نفسه ص١١.

(٢) نفسه ١٥ – ١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع إدراكه لتعدد الحداثات واقعيًا، وتعددها في المجالات:- (سياسية / ثقافية / اقتصادية / اجتماعية / ...).

ولذلك نجد الأمم الحية حين تتعامل مع (الوافد) تخضعه لاحتياجاتها التي تمليها عليها (ثقافتها وتطلعاتها)، وهذا ما فعلته (أمريكا) في تعاملها مع (الحداثة) الأوربية ثم (ما بعد الحداثة) حيث "استخدم الأمريكيون الحداثة وما بعد الحداثة في ما يتوافق مع أهدافهم ولم يتبعوا التصنيفات الأوروبية نفسها "[1]. بل جعلوا الأساليب العملية متلائمة مع احتياجات النقد الأمريكي والنقاد الأمريكيين.

وبالرَّغم من التشابه والتلاؤم بين المجال التداولي الغربي وشقّه الأمريكي، مقارنة بغيرهما من حضارات العالم – العربي والإسلامي مثلاً – فإنَّ المؤلِّف يؤكد

(١) انظر:
Art Berman , From the New Criticism to Deconstruction, (University of Illinois Press) (U.S.A. 1988) . P. 60 .

أنَّ النقاد الأمريكيين فعلوا ذلك عمليًا في إصرارهم على أن يقوموا بعمل (مغاير تمامًا) عمَّا فعله الفرنسيون في حداثتهم وما بعد حداثتهم، وأنَّ النقاد الأمريكيين بذلك قادوا اتجاهات جديدة مختلفة [1].

ومن هذه المنطلقات السابقة تسعى هذه القراءة إلى البحث حول (الخلفية الفكرية) للخطاب النسوي الغربي، (المجال التداولي/ للذات الغربية) وبيان محدِّداته ،وفكرة (المجال التداولي) تتقابل مع فكرة (التحيّز) وينتج من استخدام أي منهما فكرة (الآخر) *"The Other"* التي كان لها دورها في الثقافة الغربية من جانبين:-

- الآخر / المرأة في المجتمع الأبوي.
- الآخر / (غير المنتمي إلى الثقافة الغربية).

(وهو ما شاع في الخطاب الاستعماري وما بعد الاستعماري وفي النقد النسوي، والنقد الثقافي ،

(١) المصدر نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستشراق) حيث أصبحت دلالة مصطلح (الآخر):

كل ما هو نقيض الذات أو الأنا.

وهو يقتضي:

"إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة [1]".

بوصف (الآخر):

يهدِّد صفاءها ونقاءها.

فصاغت (اللغة) في منتجات الثقافة ذلك (التحيّز) وكشفت (دونية) الآخر:-

"بل إنّ اللغة نفسها تخلق هذا الآخر الذي يشوّه دائمًا طهارتها، وطهارة الذات ونقاءها [2]" كما يقول (دريدا).

(١) دليل الناقد الأدبي ص٢١.

(٢) المصدر نفسه .

ومن خلال هذا الموقف من (الآخر) نشأت فكرة (الهوية) من فكرة (الاختلاف) بين الأنا والآخر، فبحث الآخر / الأنثى عن (هوية) في ثقافة تقصيه، بل أدى ذلك (الاختلاف) في تلك الرؤية إلى:

"التقليل من قيمة الآخر، وإعلاء قيمة الذات أو الهوية [1]".

وتعدُّ (سيمون دي بوفوار) من أبرز من نشر "القضايا الأساسية في النقد النسوي المعاصر [2]" في كتابها (الجنس الآخر) سنة ١٩٤٩م حيث أشارت إلى أنّ:

"تعريف المرأة وهويتها تنبع دائمًا من ارتباط المرأة بالرجل، فتصبح المرأة (آخر) / (موضوعًا ومادة) يتسم بالسلبية، بينما يكون الرجل / (ذاتًا) سمتها الهيمنة والرفعة والأهمية [3]". وصارت الشخصيات النسوية تقدم

(١) المصدر نفسه ص٢٣.

(٢) النظرية الأدبية المعاصرة ص١٨٩.

(٣) دليل الناقد الأدبي ص٢٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الفن والأدب بصورة (الآخر *Other*)[1].

وعندما فسَّرت أسباب هذا الانحياز الذكوري ضد المرأة فقد أعادته إلى تأثيرات (العهد القديم)/ الكتاب المقدس:-

"حيث وُسمت المرأة بالعلاقة المنكفئة مع الرجل، فهو الواحد وهي (الآخر) (...) لقد قاتل المشرعون والرهبان والفلاسفة والكتَّاب والعلماء لكي يوضحوا:

أن الموقع الثاني للمرأة، اختارته السماء، وباركته الأرض ..."[2].

وهو الأمر الذي رسَّخ :

"أن النساء ناقصات بالطبيعة"[3].

ووصفت (فرجينيا وولف) المجتمع الأوروبي أنه (مجتمع أبوي) أي أنه ذو ثقافة (تتمركز على المذكر

(١) نظرية الأدب في القرن العشرين ، ص٢٧٧.
(٢) النظرية الأدبية المعاصرة ص١٨٩.
(٣) المصدر نفسه.

الذي يحكمها ، ولذلك فهي تنتظم بطريقة تهيئ هيمنة الرجل ودونية المرأة في كافة مناحي الحياة ومفاهيمها)[1].

ولذلك كله ذهبت الدراسات المعاصرة إلى أن تغيير هذا الموقف يقتضي المعرفة الدقيقة للمشكلة وخلفيتها ، فهي "مشكلة" "معرفية وسياسية معًا وكل منهما مهمة ، ولا يمكن فصلها عن الأخرى".

وأنه لابدّ من "تغيير البنية الحقيقية للمعرفة ..." مع البحث " عن الرسائل القامعة للنساء في التاريخ وفي علم الإنسان *Anthropology* وفي علم النفس، وفي أنفسنا."[2]

(١) دليل الناقد الأدبي ٣٣٠.
(٢) نتائج دراسات نسوية منشورة في : نظرية الأدب في القرن العشرين، ص٢٨٥ وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلفية المعرفية للموقف من المرأة في التوراة وأسفار العهد القديم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلفية المعرفية للموقف من المرأة
(في التوراة والعهد القديم)

تشير الدراسات المتخصصة في مجال (النسوية والفكر النسوي) إلى التأثير المباشر للنصوص المقدسة في العهد القديم والعهد الجديد (متضمنًا التوراة والإنجيل) التي انسحب تأثيرها في نسيج الثقافة الغربية منذ التراث اليوناني حتى القرن العشرين.

وهذا يحدونا إلى التوقف المباشر عند النصوص المقدسة تلك لندرك جوهر (الموقف السلبي) للرجل ضد المرأة التي انتفضت منذ القرن التاسع عشر حتى أسست جانبًا كبيرًا من مكانتها أمام الرجل في النصف الثاني من القرن العشرين، ولا زالت تبحث عن حقوقها حتى اليوم.

وندرك جميعًا أنَّ النصوص المقدسة ذات تأثير في سلوك الناس وعاداتهم في كثير من المواقف الحياتية،

وبخاصة وقد تأسَّس فَهمُ مكانةِ المرأة في الوجدان الثقافي حتى وإن اتَّسم بالعلمانية، إذ نجد أنَّ أهمَّ منظري الثورة الفرنسية كانوا يحملون الرؤى نفسها التي تجعل (المرأة دون الرجل)، بل تُحقّر من دورها ومكانتها في الحياة، ولعلَّ هذا كلّه يجعلنا نقف عند هذه النصوص نستجلي منها هذا النسيج الذي أثّر في الفكر الغربي وثقافته وسلوكه ومواقفه.

النصوص المقدسة في العهد القديم:

ندرك أولاً أنَّ قولنا: (التوراة) لا يعني (العهد القديم). فالعهد القديم يتضمن:

(التوراة + مجموعة أسفار **أُلِّفَت** على مراحل مختلفة)

أما التوراة فهي: (خمسة أسفار) يأتي في مقدمتها (سفر التكوين) وهذا السِّفر هو الذي يتحدَّث عن نوعية العلاقة بين الرجل والمرأة، بوصف ذلك التحديد للعلاقة والنوعية هو ما يريده (الإله) فاصطبغت الحياة بما فيها ومن فيها بنتائج هذه الإرادة، فكان لِزامًا أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتحمّل البشر وبخاصة (الرجال) هذه المسئولية لضمان سير الحياة سيرًا طبيعيًا بدون اختلال.

- نجد في التوراة روايتين حول (نشأة العالم والبشرية) ويلفت النظر أنَّ العنوان لقصة الخلق يبدو منطلقًا من (الخطيئة) فكان العنوان:

(خلق العالم وزلّة الإنسان)[1]

الرواية الأولى :

كانت موجزة جدًا في مسألة تفاصيل الخلقة وبخاصة في ما يتعلّق بآدم وحواء، ولكنها تدرّجت في بيان خلق الله للكون في ستة أيام:

"وانتهى الله في اليوم السابع من كل عمله الذي عمله، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه؛ لأنّه فيه استراح من كل عمله الذي عمله خالقًا "[2].

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم) ص٦٨، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٩.

(٢) الكتاب المقدس ص٧٠ / ٧١.

وكان الأسلوب الصياغي الذي اعتُمِدَ في تحديد (الخلق) في كلّ يوم من الأيام الستة بألفاظ تشير إلى نوعية المخلوقات:

بدت في الأيام الخمسة الأولى[1]:

ليكن نور (...)

ليكن جَلَد (...)

لتتجمع المياه (...)

لتكن نيران (...)

لتعج الحياة عجًا من ذوات أنفس حيَّة (...)

أما في اليوم السادس التي خُصِّصت للإنسان فقد اختلفت الصياغة:

" وقال الله :

لنصنع الإنسان

على صورتنا كمثالنا "

" فخلق الله الإنسان على صورته

(١) ص٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على صورة الله خلقه
ذكرًا وأنثى خلقهم."[1]

ولذلك نلاحظ أن هذه الرواية موجزة جدًا وعندما تذكر اسم (الله) تختلف بذلك عن الصيغة في الرواية الأخرى الموسعة والتفصيلية التي تضع (الرب) أو (الإله) أو (الرب الإله) مكان كلمة (الله).

ونلاحظ أنَّ هذه الرواية الموجزة جدًا – مقارنة بالثانية – قد استخدم فيها المؤلِّف كلمة (الإنسان) وأنّها تساوي (الذكر والأنثى) ولا نجد بعدها أي إشارة إلى مثل هذا التساوي، وكأنها رواية أضيفت أو انتقلت إلى هذا الموضع في عصور لاحقة.

ولكنَّ وقوفنا عند الرواية الثانية سيوضح لنا بشكل دقيق نوعية العلاقات ودرجة كل من الرجل أو المرأة بالنسبة للآخر:

(١) الكتاب المقدس ص٧٠.

الرواية الثانية:

تبدأ في موضوع الخلقة بـ:

"وجَبَلَ الربُّ الإلهُ الإنسانَ ترابًا من الأرض
ونفخ في أنفه نسمَةَ الحياة،
فصار الإنسان نفسًا حية"[1]

وحينما نتأمل هذا النصَّ في سياقه الكلي نجد أنَّ (الإنسان) هنا لا يعني الرجل والمرأة وإنما الرجل فقط، ولذلك تتوالى نصوص خلقة الحياة والأحياء من دون (المرأة):-

فخلق الله الجنة:

"وأنبتَ الربُّ الإله من الأرض كلَّ شجرة
حسنة المنظرِ، وطيبة المأكلِ،
وشجرةَ الحياةِ في وسط الجنة
وشجرةَ معرفةِ الخيرِ والشرِّ."[2]

(١) الكتاب المقدس (العهد القديم) ص٧١.
(٢) ص٧١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالجنة فيها (شجرتان) :

الأولى: من أكل منها يحيا حياة الخلود (حياة الآلهة).

والثانية: من أكل منها وصل إلى درجة العرفان المطلقة.

فيعرف الخير والشر من كلّ شيء.

ويسيل من الجنة (نهرٌ) يتشعَّب إلى أربعة أنهر[1]:-

- نهر فيشون.
- نهر جيحون "المحيط بكل أرض الحبشة "[2].
- نهر دجلة.
- نهر الفرات.

ثم بدأ الاتجاه نحو ترتيب وضع الإنسان بين المخلوقات:

" وأمر الربُّ الإله الإنسانَ قائلاً:

(١) انظر: ص٧١.

(٢) هذا من نص التوراة .

من جميع أشجار الجنة تأكل،

وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فلا تأكل منها، فإنّك يوم تأكل منها تموت موتًا "[1]

لأنّه إذا أكل من شجرة العرفان سيصبح في علمه ومعرفته مثل الإله وبالتالي سينقصه (الخلود) فلابدَّ لذلك من أن يأكل من الشجرة الثانية فيكون بذلك إلهًا كاملاً .

ولكننا نجد بعد ذلك تأسيسًا لعلاقة الرجل / الإنسان بالمرأة وسبب وجودها وسبب خلقتها :

" وقال الربّ الإله:

لا يحسن أن يكونَ الإنسانُ وحده، فلأصنعنّ له عونًا يناسبه "[2]

ويذهب النص إلى أنّ (الربَّ الإله) قد عرض على هذا المخلوق / الإنسان كل المخلوقات لكي يتعرف

(١) ص٧١.

(٢)الكتاب المقدس (العهد القديم) ص٧٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليها ويختار منها (عونًا) له:

" وأتى بها الإنسان ليرى ماذا يسميها [1]"

ثم تكون النتيجة:-

" وأمَّا الإنسانُ:

فلم يجدْ لنفسه عونًا يناسبُه "

فكان الحل الإلهي:

" فأوقع الربّ الإله سباتًا عميقًا على الإنسان [2]"

فنام، فأخذ إحدى أضلاعه وسدَّ مكانها بلحم، وبنى الربّ الإله الضلع التي أخذها من الإنسان: (امرأةً)

فأتى بها الإنسان. "

فإذا تشكّلت العلاقة بهذا النص بشكل ضمني، فقد وضحت أكثر حين صرَّح الإنسان / الرجل:

" هذه المرأة: هي عظم من عظامي

(١) ص٧٢.

(٢) لاحظ شيوع كلمة (إنسان) على الرجل / الذكر.

ولحم من لحمي

هذه تُسمى (امرأة)

لأنها من امرئ أُخذت [1]".

وهكذا تحدَّدت (تبعية) المرأة للرجل تبعية عضوية، فهي جزء صغير من مكون الإنسان/ الرجل، ووُجِدَتْ خلقًا لتكون تحت رغبة هذا الرجل ومتطلباته.

ولم تقف النصوص عند هذا الحد ولكنها تتواصل تحت عنوان فرعي:

" امتحان الحرية والزلّة [2]":

حيث بيّن النص:

" أحْيَلُ جميع حيوانات الحقول

التي صنعها الربّ الإله

هي: الحيَّة "

(١) ص٧٢.

(٢) ص٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقيم النصُّ حوارًا بين (المرأة) و (الحيَّة) حيث حاولت الأخيرة إغراء الأولى بمخالفة أوامر الرب والأكل من الشجرة، ولمَّا أفصحت المرأة بأنَّ الرب حذر من أنهما سيموتان – هي والرجل – إذا أكلا من تلك الشجرة، قالت الحيَّة:-

"موتًا لا تموتان ، فالله عالم أنكما في يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما،

وتصيران كآلهة تعرفان الخير والشر ."

"**فأخذتْ** من ثمرها **وأكلتْ**،

وأعطتْ – أيضًا – زوجها الذي معها

فأكل ."[1]

لا نريد في خطة هذه الدراسة التعرّض إلى (نوعية) الإله الذي تصوره هذه النصوص، فلذلك مجال آخر

(١) ص٧٣.

عند غيرنا [1]- ربَّما – ولكن ما يلفت النظر أنَّ هذه المرأة (المخلوق) التابع هي الشخصية الفاعلة التي تدير الحدث، وكأنَّ محتوى العنوان عن (الامتحان والزلَّة) ينسحب على هذه الشخصية التي أدارت الحوار مع (الحيَّة) واكتشفت حقيقة الشجرة فأكلتْ منها، ويلاحظ أن شخصية (الرجل) ظلت بعيدة حتى بدت هذه الشخصية – الرجل – مغلوبًا على أمرها، ولذلك لم يشر النصّ إلى أنّ الرجل سمع الكلام وأخذ من الشجرة وأكل، ولكن شدَّد النصّ على أن يكون:

الاستماع إلى دعوة (مخالفة الرب) ← من المرأة.

ارتكاب خطيئة المخالفة ← من المرأة.

الأخذ للثمر المحرَّم ← من المرأة.

الأكل من الثمر المحرَّم ← من المرأة لنفسها.

الأكل من الثمر المحرَّم ← من المرأة للرجل.

(١) أشار نصر أبو زيد إلى مثل ذلك حيث بدا : "إن الإله الذي تصوره هو إله التوراة، وليس (الله) المعروف في المعتقد الإسلامي". انظر: دوائر الخوف ص٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" فأخذتْ من ثمرها

وأكلتْ

وأعطتْ - أيضًا - زوجها (الذي معها)

فأكل .. "

وحتى يشدِّد النص على براءة الرجل استخدم أسلوب

- أضاف كلمة (أيضًا) للتأكيد على تكر وقصدية من المرأة دون الرجل، في تنفي الخطيئة / الزلّة.
- أضاف بعد (زوجها) عبارة (الذي معها) وكأ لا دور له في الفعل، ولكنه كالمتفرج الذي أخذته المفاجأة فأسكنته عن أن يتصرف أي تصرف أمام (خطيئة المرأة).

كما أنَّ النصّ لم يربط بين الإنسان / الرجل والمرأة برباط (الزوجية) إلاّ في هذا الموضع:

(زوجها الذي معها)

وكأنَّ تأثير المرأة هنا قد بُرِّر لأنها تتعامل مع (زوج لها، له احتياجات عندها فأرضاها هو لذلك.

عقوبات الزلّة والخطيئة :

يتبدَّى في النص - أيضًا - إنفاذ فكرة (خطيئة المرأة) ولا مسئولية (الرجل) عنها، سوى كونه استجاب لطلب (المرأة)، فجاءت العقوبات لتجلي هذه النتائج، وفي الوقت نفسه نجد النص قد أسبغ على (الرجل والمرأة) المخلوقين سمات الألوهية، وهذه السمات تؤكد تبرئ النص أنّ (الحيّة) كانت صادقة في وصف نتائج الأكل من ثمرة الشجرة (شجرة المعرفة) حيث نجد أنهما بعد الأكل من الشجرة استطاعا إدراك (وقع خطى الرب)، واستطاعا إدراك (الخطيئة) التي وقعا فيها، وقبل ذلك ما كانا ليقدرا على هذا الإدراك:

" فسمعا وقع خطى الربّ الإله

وهو يتمشى في الجنّة عند نسيم النهار،

فاختبأ الإنسان وامرأته من وجه الرب الإله فيما بين أشجار الجنة.

فنادى الربّ الإله الإنسان وقال له:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أين أنتَ؟

قال:

إنّي سمعتُ وقع خطاك في الجنّة

فخفتُ لأنني عريان، فاختبأتُ.

قال:

فمن أعلمك أنّكَ عريان؟

هل أكلتَ من الشجرة التي أمرتك ألا تأكل منها؟"[1]

فهذا الإدراك وهذه الصورة للربِّ الإله لتقريب التصور بأنَّ الطرفين قد أصبحا في مصاف الآلهة:-

الرب الإله ← الطرف الأول.

الإنسان وامرأته ← الطرف الثاني.

كما أنّ شخصية المرأة تختفي، وتبرز شخصية الرجل، وكأنّ الخطيئة تصدر عن المرأة، ويكون دور الرجل تحمُّل التبعات والبحث عن معالجات لخطايا المرأة.

(١) ص٧٣.

ولذلك يسوق النص بقية الحوار:

" فقال الإنسان:

المرأة التي جعلتها معي

هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ "

" فقال الربّ الإله للمرأة:

ماذا فعلتِ؟

فقالت المرأة:

الحيّة أغوتني فأكلتُ "

فكانت العقوبات:

" فقال الربُّ الإله للحيّة:

لأنّك صنعتِ هذا

فأنت ملعونة من بين جميع البهائم

وجميع وحوش الحقل

على بطنك تسلكين، وترابًا تأكلين

طوال أيام حياتك [1]".

(١) ص٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كان هذا عقابًا للحيّة ذاتها، فإنّ عقوبة أخرى ربطت (بينها وبين المرأة) وأصابت هذه العقوبة كل نسل الإنسان، بسبب هذا الخطيئة:

" وأجعلُ عداوةً بينك وبين المرأة

وبين نسلك ونسلها

فهو يسحق رأسك

وأنتِ تصيبين عقبه ."

ثم تُضاعف العقوبة على (المرأة) نفسها:

" وقال للمرأة:

لأكثرنَّ مشقات حملك تكثيرا

فبالمشقة تلدين (البنين).

والى رجُلك تنقادُ أشواقك

وهو يسُودُك ."[1]

حيث لم يكتفِ النصّ بالعقوبات التي أُوقعت على (المرأة) ولكنّه حدَّد تبعيتها (التامة) للرجل بدءًا من

(١) ص٧٤.

فطرتها وتكوينها واتكاءً على خلقتها، وبالتالي إلى كل ما تكتسبه فهو من فضل الرجل ورضاه، فهو سيدها طبيعةً، وأمراً من الربّ الإله.

فهي إذن مسألة بيولوجية من جهة وهي مسألة تشريعية مصدرها الرب الإله من جهة أخرى. ثم قال لآدم:

" لأنك سمعتَ لصوت امرأتك

فأكلتَ من الشجرة التي أمرتُك ألا تأكل منها

فملعونةٌ الأرض بسببك

بمشقة تأكل طوال أيام حياتك

وشوكًا وحسكًا تنبتُ لك

وتأكل عشبَ الحقول

بعرق جبينك تأكل خبزًا

حتى تعود إلى الأرض

فمنها **أُخذتَ**، لأنك ترابٌ

وإلى التراب تعود"[1]

(١) ص٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنّ مبررات شقاء الإنسان في الحياة، وجعل (الأرض ملعونة) وهي مركز حياة هذا الإنسان، إنّما تقوم لأن (الرجل) استمع (للمرأة):

" لأنّك سمعت لصوت امرأتك "

ولكنّ هذا المبرر مع السياق الذي جاء فيه، قد أضاف بعدًا تعميتيًا للعلاقة التي ينبغي أن تكون بين الرجل والمرأة، بل إن مجمل حياة الإنسان وما فيها من (مشقات) إنما هي نتاج تلك (الخطيئة).

ولعلّه من المهم أن نشير إلى:

- أنّ النص لم يتعرّض لأيّ ذكرٍ للشيطان، وإنّما جعل ذلك بسبب علاقة بين (الحية) و(المرأة).
- أنّ أسلوب النص قدّم (وصفًا) للحية مقارنة ببقية المخلوقات فقال:

" أحْيَلُ جميع حيوانات الحقول
التي صنعها الرب الإله:
هي: الحيّة "

- أنّ النصّ في إبرازه لهذه العلاقة جعل (الحية) تقيم حوارًا مع (المرأة) ولا نجد لها حوارًا مع (الرجل) ولا مع (الرب الإله).

والتعامل مع هذا السياق يقودنا – كما يبدو – إلى تصورين:-

(١) الدلالة على توافق كبير في (ظاهرة) = (الحيلة) بين (الحيّة) و (المرأة) ، وأنه إذا كانت الحية (أحيل) مخلوقات الحقول، فالمرأة (أحيل) الكائنات البشرية = المرأة أحيل من الرجل.

ويعكس النص أنّ هذه السمة (الحيلة) في المرأة (الحيّة) تستخدم في مخالفة (القانون الإلهي) التي تؤدي إلى اضطراب الحياة.

(٢) إسناد الحوار والإقناع للحيّة تجاه الآخر / المرأة، يدل على (رمزية) الاستخدام، فالحية مخلوق لا يتكلم في الحقيقة، وإذن فهي رمز على (الشيطان) أو (إبليس) أو تكون رمزًا متولّدًا يعكس نزعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الرغبات) و (الشهوات) التي تعني فطرة القصور والنقص التي تؤدي إلى تصرفات مدمرة للإنسان لأنها تندفع من خلال مخالفة (القانون الإلهي).

ومن التصورين يتشكّل (الموقف من المرأة) في النظام المعرفي الذي ترسّخ في الحياة منذ قرون ما قبل الميلاد وحتى القرن التاسع عشر بعد الميلاد، ولم تبدأ أركانه في الاهتزاز والتمزّق إلاّ في القرن العشرين.

ولذلك فإنّ فقه (التفسير الذكوري) في النظام المعرفي الغربي يصبح مقبولاً فهمه، بسبب من هذه الخلفية المعرفية، إذ تبدّى شيوع هذا (الموقف من المرأة) في القوانين والتشريعات والفلسفة وما يؤديه ذلك في إطار السلوك العملي في الحياة.

ولذلك يؤكد (التفسير الكنسي) لقصة الخلق في التوراة بأنّ الخطيئة تؤدي إلى:

" قلب أوضاع النظام الذي أراده الله "[1]

(١) ص٧٣.

بل يؤكد (التفسير الكنسي) أنّ من نتائج الخطيئة تلك:

أنّ " المرأة لا تكون شريكة الرجل ولا تساويه، بل تمسي فتنة للرجل، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد. "

حيث بدا التأكيد على انتقال الخطيئة وراثيًا في النسل من جهة، وعلى ترسيخ عدم مساواتها للرجل من جهة أخرى، ثم كونها مصدر الغواية للرجل ولذلك عليه أن يتعامل معها لا كزوجة شريكة حياة، ولكن بوصفها من (العبيد) ولا وظيفة لها سوى إشباع الرغبات للرجل وولادة الأولاد له.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخروج من الجنة إلى الأرض ليس بسبب الخطيئة :

وقد يكون من الملائم الإشارة إلى نصّ إخراج الإنسان من الجنة إلى الأرض، وأن فكرة الخطيئة لا علاقة لها بهذا (الإخراج) فالخطيئة استلزمت عقوبات – كما رأينا – وتقرير مشقةٍ في الحياة **والكدّ** في الحصول على الرزق، وعقوبات إيلامية دائمة للمرأة، وعداء بين الحية ونسلها (والمرأة ونسلها).

ولكنّ (قرار) الطرد من الجنّة كان لسبب آخر، بيّنا جزءًا منه في الصفحات السابقة، وهو ما يتعلّق (بالشجرتين في الجنة) حيث أكل آدم وامرأته من الشجرة الأولى فأصبحا نصف آلهة، فإذا أكلا من الشجرة الثانية (شجرة الحياة) أصبحا الهين كاملين، ولذلك كان طردهما خوفًا من هذا التحوُّل:

" وقال الربّ الإله:

هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا،

فيعرف الخير والشر

فلا يُمدَّنَّ الآن يده فيأخذ من

شجرة الحياة – أيضًا –

ويأكل فيحيا للأبد .

فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن

ليحرث الأرض التي أُخِذَ منها،

فَطَرد الإنسان (...) "[1].

قد نجد جانبًا من الاختلافات بين روايات التوراة وهذا معروف في شروح التفسيرات الكنسية، وأشاروا إليها في مقدمات طبعات العهد القديم أو العهد الجديد، ولذلك نجد في الشروح :

- أهمل المؤلف الكهنوتي (...)
- أهمل المؤلف اليهوي (...)
- وقد أهمل المؤلف (...).

وهي صيغ تتكرر في مختلف الشروح والهوامش وهي تصف نصوص التوراة من مصادرها التي تنسب

(١) ص٧٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليها، وأشارت بعض هذه التعليقات أنَّ جهودًا تبذل الآن لإعداد صيغة جديدة للتوراة يحاولون فيها التوفيق بين مختلف روايات التوراة، وتحديد (الأسفار) في العهد القديم التي يمكن أن تكون معتمدة، من تلك التي ليست كذلك وتم ضمها إلى العهد القديم بعد أن تكشفت حقائق معينة حول مؤلفيها وظروف تأليفها[1].

(١) انظر: أيضًا (وجهات نظر) العدد (٩١) سنة ٢٠٠٦ ص: ١٨ وما بعدها حيث نُشر بحث عن نصوص تم استبعادها قديمًا وأثارت جدلاً واسعًا.

نماذج من الموقف الحياتي من المرأة:

قد يكون لزامًا علينا لتوضيح الموقف من المرأة أن نقرأ نموذجين للوقائع التي عبر عنها (النص) في التوراة أو العهد القديم، فننظر في خطاب المرأة وتشكيله لها، ويكفي أن نشير إلى:-

(١) سارة زوج إبراهيم (عليهما السلام):

عندما وصل إبراهيم عليه السلام إلى مصر، بدأت قصة الفرعون الذي أُعجِبَ (بسارة) وبخاصة حين أفصح إبراهيم أنها أخته (للمصريين) الذين قابلوه، لأنه - حسب النصّ - خاف أن يقتلوه ويأخذوها إذا علموا أنها زوجته، فيصف النصّ ذلك:

"فلمَّا قارب أن يدخل مصر، قال لساراي[1] امرأته:

(١) قبل مرحلة الإنجاب لإسماعيل وإسحاق (عليهما السلام) كان اسمها (ساراي) وكان اسمه (إبرام) ثم منحه الرب الإله - كما في النص - اسم (إبراهيم) وهي اسم (سارة) في آخر عمره (بعد الإنجاب).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنا أعلم أنّك امرأة جميلة المنظر،

فيكون إذا رآك (المصريون) أنهم

يقولون:

(هذه امرأته) فيقتلونني

ويبقونك على قيد الحياة،

فقولي أنّك (أختي) حتى يُحْسَنَ

إليَّ بسببك،

وتحيا نفسي بفضلك ...[1]

وبالفعل نقلت (ساراي) من المصريين إلى (الفرعون) الذي أخذ سارة عنده، ومنح (إبراهيم) الكثير من الهدايا والهبات من الحيوانات (الغنم والحمير والبغال و...) ومعروف بعد ذلك قصة معرفة الفرعون أنها زوجة إبراهيم وليست أخته فأطلقها وأهداهما الكثير.

ولكن ما يهمُّنا هو كيف تم تأويل النصّ أو تفسيره عندهم وعند (الآباء الكنسيين) بعدهم ؟!

(١) التوراة ص٨٦.

وحتى لا أخوض في تفاصيل قيمة المرأة عند الرجل من خلال هذا النص، أكتفي (بالتفسير الكنسي) الذي قال شرحًا لهذه الواقعة:

"وحياة الزوج تُفَضَّلُ في هذه الأخلاقية على شرف المرأة"[1].

حيث تبيَّن أن التضحية بعرض (سارة) وانتهاكه إذا كان سيؤدي إلى إنقاذ حياة (الرجال) فلا ضير من التضحية به، وهكذا - أيضًا - إذا كان سيؤدي إلى وجود منافع مادية للرجال أو للمجتمع فلا ضيرَ من تقديم (شرف المرأة) للإهدار في سبيل مثل هذه المصالح.

(٢) نموذج لوط وابنتيه:

عندما أهلك الربُّ (سدوم وعموره) لما كانوا يفعلونه من (الخطيئة)، يوحي النص بأنّه لم ينجُ من

(١) ص٨٦ الهامش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سكان سهل الأردن (جنوب البحر الميت) سوى لوط وابنتيه .

فيسرد النص العلاقة بين الثلاثة:

" ... فقالت الكبرى للصغرى:

إنّ أبانا قد شاخ

وليس في الأرض[1] رجل يدخل علينا

على عادة أهل الأرض كلها. [2] "

وكانت الحلول لمعالجة هذا الإشكال أنْ قالت الكبرى للصغرى:

" تعالي نسقي أبانا خمرًا ،

ونضاجعه ،

ونقيم من أبينا نسلاً .. "

فسقتاه في اليوم الأول وضاجعته الكبرى، ثم في

(١) الأرض هنا: (الموقع في جنوب البحر الميت) ولكن في ما جاورها توجد السكنى والبشر ولا يحتاج ذلك إلى تأكيد كبير.

(٢) التوراة ص٩٦.

اليوم التالي كذلك وضاجعته الصغرى، وحملتا منه، ومن حملهما نشأ:

المؤابيون: (مؤاب).

وبني عمّون (العمّونيون): (بَنْعمّي [1])

ولم يبيّن النصّ أي قول أو موقف للنبي (لوط) من هذه الواقعة، ويكفينا لتحديد ما فُهِم من النص: التأويل أو التفسيرات الكنسية التي أوضحت (الموقف من المرأة):

(يحق لبني عمون، وللمؤآبيين أن يفتخروا بهذا الأصل)

لأنّ:

" ابنتي لوط لا تظهران هنا في مظهر الفجور،

لأنَّ غايتهما الوحيدة هي بقاء النسل [2] "

(١) ينسب بعضهم (عمّان) إلى هذه التسمية.

(٢) التوراة ص ٩٦ الهامش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

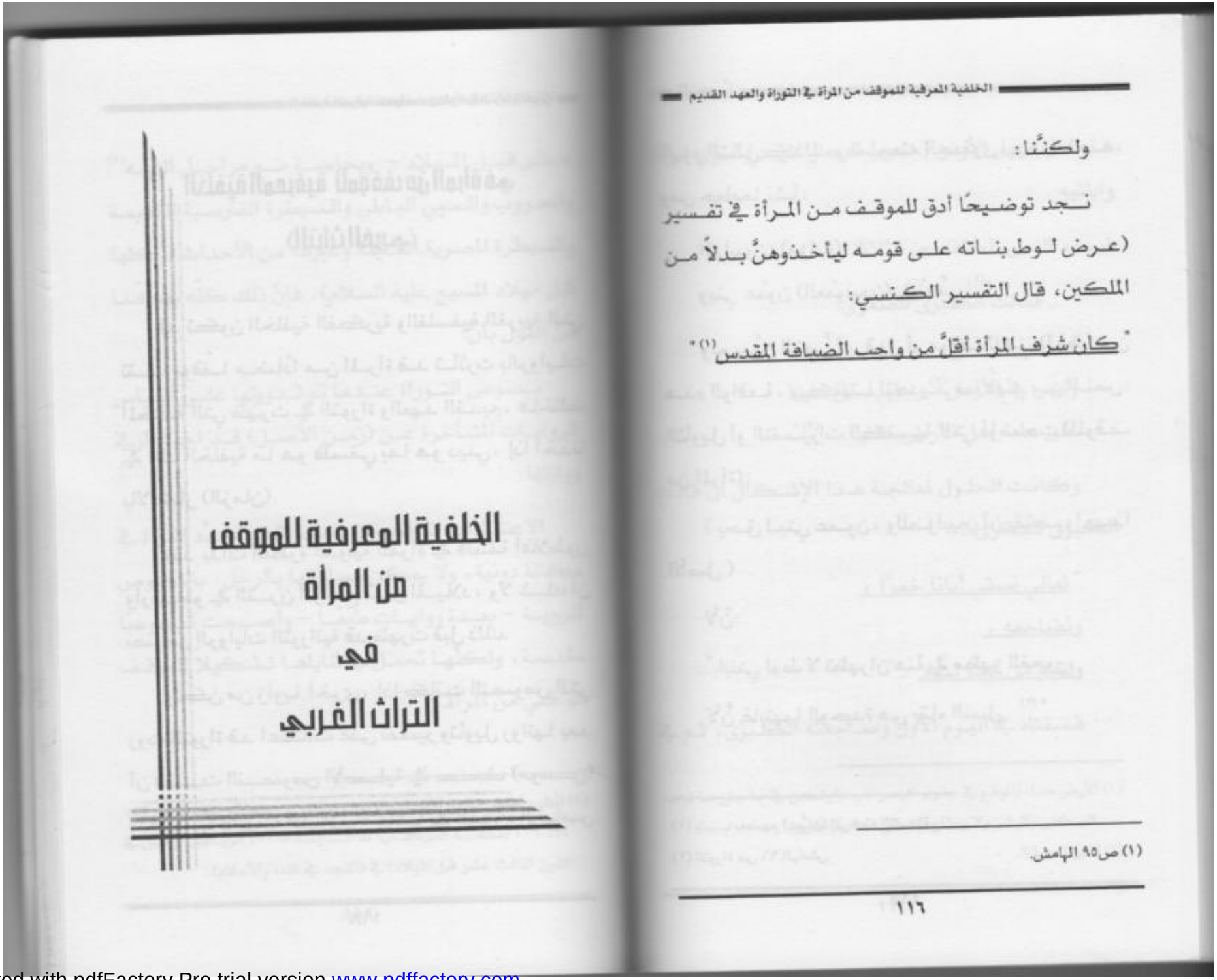

ولكنَّنا:

نجد توضيحًا أدق للموقف من المرأة في تفسير (عرض لوط بناته على قومه ليأخذوهنَّ بدلاً من الملكين، قال التفسير الكنسي:

"كان شرف المرأة أقلَّ من واجب الضيافة المقدس[1]"

(١) ص٩٥ الهامش.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلفية المعرفية للموقف من المرأة في (التراث الغربي)

قد تكون الخلفية الفكرية والفلسفية الغربية التي تقف موقفًا مضادًا من المرأة قد تأثرت بالروايات المختلفة التي ظهرت في التوراة والعهد القديم، فاختلط في تلك الخلفية ما هو فلسفي بما هو ديني، إذا أخذنا بالاعتبار (الزمان).

فقد بدأت النظرة الدونية للمرأة في فلسفة أفلاطون وأرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد، ولا شكَّ أن نصوص الروايات التوراتية قد ظهرت قبل ذلك.

ولكن من زاوية أخرى، إذا كانت النصوص التي روت التوراة قد اعتمدت على تفسير وتأويل رواتها بعد أن فُقدت النصوص الأصلية في صحف (موسى) و(هارون) عليهما السلام – عاشا في القرن: الخامس

عشر قبل الميلاد – وبخاصة مع مراحل التيه[1] والحروب والسبي البابلي والسيطرة الفارسية القديمة والسيطرة المصرية القديمة وغيرها من الأحداث (وكلها قبل ميلاد المسيح عليه السلام)، فإنّ ذلك كلّه يمكّننا من القول بأنَّ:

نصوص التوراة عندما تم تدوينها على أساس الروايات المتأخرة عن (زمن الأصل) قد اختلط في روايتها:

الاعتقادات الواقعية الممارسة التي تحدِّد المرأة في مكانة دونية، ولا يمكن مساواتها بالرجل، بالنصوص المروية – بعدة روايات طبعًا – وأصبحت نصوصًا مقدسة، ولكنَّها تحمل في ثناياها تشكيلاً للموقف الواقعي من المرأة.

(١) انظر: أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: سامي بن عبدالله المغلوث ص ٥٣، ٤٤، ٣٠٩ (مكتبة العبيكان) ط السادسة ٢٠٠٥، الرياض. (وقيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) في (المنجد في اللغة والأعلام).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشر قبل الميلاد – وبخاصة مع مراحل التيه[1] والحروب والسبي البابلي والسيطرة الفارسية القديمة والسيطرة المصرية القديمة وغيرها من الأحداث (وكلها قبل ميلاد المسيح عليه السلام)، فإنّ ذلك كلّه يمكّننا من القول بأنّ:

نصوص التوراة عندما تم تدوينها على أساس الروايات المتأخرة عن (زمن الأصل) قد اختلط في روايتها:

الاعتقادات الواقعية الممارسة التي تحدّد المرأة في مكانة دونية، ولا يمكن مساواتها بالرجل، بالنصوص المروية – بعدة روايات طبعًا – وأصبحت نصوصًا مقدسة، ولكنّها تحمل في ثناياها تشكيلاً للموقف الواقعي من المرأة.

(١) انظر: أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: سامي بن عبدالله المغلوث ص ٥٣، ٤٤، ٣٠٩ (مكتبة العبيكان) ط السادسة ٢٠٠٥، الرياض. (وقيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) في (المنجد في اللغة والأعلام).

وكلا الاحتمالين تؤكدهما نصوص المجالين: نصوص التوراة والعهد القديم، وتأثيرها في نصوص العهد الجديد بوصفه (خطابًا)، ونصوص التراث الفكري والفلسفي الغربي منذ أفلاطون وأرسطو حتى القرن العشرين.

ولعلّ هذا الترسُّخ المتين في النصوص (الدينية) وفي النصوص الفلسفية والفكرية بشكل عام، قد مثّل – في النص الثاني بخاصة – ارتباطًا عميقًا مع التصوّر والسلوك الغربي بحيث انعكس في كل مجالات الحياة الممارسة على الواقع وبخاصة في المجال القانوني والتشريعي الذي ثبّتَ هذا الموقف المضاد للمرأة بقيود القانون.

ونظرًا لهذه النصوص (بجانبيها)، وللزمن المتطاول أخذًا بها، فقد استوعب الخيال والتصور والفكر هذه المواقف، وتقبلها المجتمع (رجالاً ونساءً) وتحولت إلى (حقيقة) مصبوغة بصبغة تشريعية قانونية، ومحشوّة بمزيج (ديني) يجعل من تلك (الحقيقة) – وفي نظرهم:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكلا الاحتمالين تؤكدهما نصوص المجتمع نصوص التوراة والعهد القديم، وتأثيرها في نصوص العهد الجديد بوصفه (خطابًا)، ونصوص التراث الفكري والفلسفي الغربي منذ أفلاطون وأرسطو حتى القرن العشرين.

ولعلَّ هذا الترسُّخ المتين في النصوص (الدينية) وفي النصوص الفلسفية والفكرية بشكل عام، قد مثَّل - في النص الثاني بخاصة - ارتباطًا عميقًا مع التصور والسلوك الغربي بحيث انعكس في كل مجالات الحياة الممارسة على الواقع وبخاصة في المجال القانوني والتشريعي الذي ثبَّتَ هذا الموقف المضاد للمرأة بقيود القانون.

ونظرًا لهذه النصوص (بجانبيها)، وللزمن المتطاول أخذًا بها، فقد استوعب الخيال والتصور والفكر هذه المواقف، وتقبلها المجتمع (رجالاً ونساءً) وتحولت إلى (حقيقة) مصبوغة بصبغة تشريعية قانونية، ومحشوة بمزيج (ديني) يجعل من تلك (الحقيقة) - وفي نظرهم

وعيهم ولا وعيهم - أنها حقيقة إلهية.

ولذلك كان القانون المدني والاتكاء عليه يبرر تكوين منظمة الأسرة الذي يقوم على أساس الشريعة الإلهية، بقدر ما يقوم على طبيعة الأشياء، يشير إلى مجال الخدمة المنزلية بوصفه المجال الذي يناسب وظائف النساء"[1].

وأن الخالق اهتم بتصنيف الرجال والنساء على نحو مختلف، وأن تعديل هذه الرؤية والبحث عن المساواة يعد محاولة لإبطال ما صنعته يد الرب"[2].

ولذلك استغرق هزّ هذه المسلمات وقتًا طويلاً منذ ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن العشرين، حيث بدأت المحاولات الأولى مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي، سوزان موللر ص٢٨٣، (في تحليلها للنصوص القانونية أو الأحكام القانونية)، ترجمة: إمام عبدالفتاح المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط أولى ٢٠٠٢.
(٢) نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التأثير التشريعي والقانوني

ولعلّنا نستطيع القول مع (سوزان موللر[1]):

"إنَّ الأمر لم يكن فقط في تاريخ الفكر السياسي، والأبراج العاجية للأوساط الأكاديمية التي خدمت الأساليب الوظيفية للفكر في تبرير المعاملة غير المتساوية للنساء، ولقد استخدمت المحاكم - أيضًا - في الماضي وحتى يومنا[2] الراهن حججًا نفعية تقوم على الدور التقليدي للنساء داخل الأسرة - المعترف بأنه دور حتمي وطبيعي .. ".

وتؤكد رؤيتها بأن المحكمة الدستورية في (السبعينات من القرن العشرين) توصلت أخيرًا إلى:-

عدم دستورية القوانين التي تميِّز بين المواطنين بسبب (الجنس) وتقلل من شأن المرأة وحقوقها ومكانتها في المجتمع، والتي ما زالت تسود الفكر

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي، ص٢٧٧.

(٢) تتحدث المؤلفة عن تاريخ إصدار الكتاب باللغة الإنجليزية سنة ١٩٧٩م.

السياسي الغربي[1]"

وتفسير ذلك الموقف من (المرأة) ينطلق من وظيفتها التي حدَّدها المشرعون من خلال النظر إلى:

(الأسرة) في المجتمع

فقد حذوا حذو الفلاسفة والمفكرين، حيث تبدو وظيفة المرأة من خلال النظر إلى (الأسرة) فهي مسئولة عن:

رعاية البيت - الإنجاب - رعاية الزوج والأولاد - وتلبية احتياجاتهم[2] (...).

وأن هذه الأسرة:

(يرأسها رجل)

وقد ترسَّخت هذه الفكرة في الغرب وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية[3].

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي ص٢٧٨.

(٢) نفسه ٢٧٨.

(٣) قرأتُ ذات مرَّة مقولة أمريكية (في التراث الشعبي) تقول:
"إذا كان الرجل هو رأس الأسرة فإن المرأة هي (الرقبة) التي تحرِّك الرأس".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولذلك يقول أحد الآباء المؤسسين لوثيقة الاستقلال الأمريكية (جون أدامز) لزوجته حين أشارت الوثيقة إلى المساواة بين المواطنين - : (أنهم كانوا سعداء) "لأنهم لم يهملوا السيدات"[1].

إلا أن الإشكالية تكمن في أنّ الدستور قد نص على (كلمة: أشخاص) ولكنّ تفسير كلمة (شخص) : (انصرفت إلى الرجل دون المرأة[2]).

وتقول سوزان موللر:

" وعلينا أن نعترف بان الدساتير الخاصة بالولايات، والدساتير الاتحادية، كانت قد وضعت من منظور:

[إن النساء من ذوات كثرة هامة السِّنّ أشخاصًا من الناحية القانونية، بل: أعضاء تابعات للأسرة البطريركية][3]"

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي ص١٧.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه ص٢٨٠.

وتتبعت المؤلفة المواقف القانونية والتشريعية التي فسّرت ورود كلمة (الشخص) في الدستور بأنه لا يشمل النساء ولا العبيد، وكيف **ترتّب** على ذلك عدم استحقاق المرأة أن تكون من بين (المحلفين) في المحاكم، بالرغم من حصولها على حق (الانتخاب)، ولم تستطع أن تتجاوز ذلك قانونًا إلاّ في منتصف السبعينات[1] من القرن العشرين بعد صراعات قانونية ودستورية بدأت في أواخر القرن التاسع عشر، ثم في ثلاثينيات (١٩٣١) القرن العشرين حين:

قررت المحاكم عدم أهلية المرأة للانضمام إلى هيئة المحلفين[2].

وأكدت ذلك المحكمة العليا في قرارها سنة ١٩٣٢م ثم تكرر ذلك حتى منتصف الستينات من القرن العشرين، بمنع (المرأة والسود) من الانضمام إلى هيئة المحلفين.

(١) نفسه ص١٧.

(٢) نفسه ص٢٨٢، وانظر: ص٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يكن هذا الجانب التشريعي والدستوري إلا تجليًا لتاريخ طويل من الفلسفة والفكر والثقافة بشكل عام، ولممارسات على مدار ذلك التاريخ تؤكد تلك العلاقة الدونية للمرأة أمام الرجل، ويمكن استعراض مجموعة من المقولات منذ أفلاطون وأرسطو وحتى القرن العشرين.

التأثيرات التراثية في الفكر الغربي :

توصَّلت أستاذة الكيمياء الحيوية (د. ليندا شيفرد)[١] إلى أن الشِّق (الأنثوي) الذي يبرز دور المرأة في الحضارة الإنسانية، وإن كان قد تجلَّى في جانب منه في الحضارة الفرعونية والحضارة الصينية، قد ترسَّخ في الفكر الغربي فيما :

(صاغته فلسفة أرسطو، من سيادة وعلو الذكورية، وانفرادها بالفعل الحضاري الذي هيمن بدوره على الحضارة الغربية...)

حتى أصبحت (الأنثوية) عند أرسطو(تشوهاً...[٢]) ينبغي السيطرة عليه بقوة ولذلك بدت العلاقة بين الرجل والمرأة (... بطبيعتها علاقة الأعلى بالأدنى – الحاكم بالمحكوم[٣] –) وسيطرت أفكاره على الفكر الغربي

(١) انظر: أنثوية العلم: ص٩ وص٢٧ ومابعدها.

(٢) المصدر نفسه ٢٨.

(٣) المصدر نفسه ص٢٨..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لأكثر من ألفين من السنين[1].

ويذهب (الفرد نورث وايتهد) (١٨٦١ - ١٩٤٧) إلى القول بأن:

" السمة العامة الأكثر أمنًا للتراث الفلسفي الأوروبي هي أنه عبارة عن سلسلة من الهوامش على فكر أفلاطون "[2].

في حين تؤكد الدراسات اللاحقة بشكل أدق تلك السلسلة بين فلسفة العصور الحديثة (الأوروبية) وفلسفة (أرسطو) التي تنظر إلى المرأة بأسلوب من التفكير:

" يقوم على افتراض ضرورة وجود الأسرة النووية، التي يرأسها ذكر، وعن دور المرأة داخل هذه الأسرة "[3].

وهذا الدور محكوم بالطبيعة التي تحدّدت عن

(١) المصدر نفسه ص ٣٧.

(٢) النساء في الفكر السياسي الغربي، ص٢٦١.

(٣) نفسه.

(المرأة) في مقولات (أرسطو) التي تقلّل من شأن المرأة:

" لوجود بعض النقص في خصائصها "[1]

وانعكاس ذلك في السلوك العام والموقف من المرأة والنظر إليها نظرة دونية[2]. ولذلك يقال:-

" وإن كان أرسطو قد أعادها إلى الوراء من جديد، ولم يكن تاريخ الفكر السياسي عن النساء - لسوء الطالع - حتى العصر الحاضر، سوى مجموعة من الحواشي بالتراث الأرسطي "[3]

أما أفلاطون قبله فقد حصر وظيفة المرأة في زاوية (الجنس) و (الإنجاب) و (تربية الأطفال)[4].

وفي فلسفة (توما الاكويني) (١٢٢٥ - ١٢٧٤م):

ينظر إلى المرأة من خلال معيار (الذكر) فالذكر

(١) النظرية الأدبية المعاصرة ص١٨٦.

(٢) نفسه.

(٣) النساء في الفكر السياسي ، ص٢٦٣.

(٤) نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يمثل المقياس الكامل للموجود البشري، وتكون الأنثى كما قال:

"المرأة رجل ناقص"[1]

أمّا فرانسيس بيكون (١٥٦٠ – ١٦٢٦):

فقد هاجم الفلسفة الأرسطية وعندما أراد تسفيهها وتقليل قيمتها وصفها: "بأنها سلبية وضعيفة و (أنثوية)".

ودافع بقوة عن (المنهج التجريبي) وأنه يعدّ "تدشينًا للميلاد الحقيقي للعصر الذكوري"[2].

وفي عصره وعبر أحد كبار مؤسسي (الجمعية الملكية) في لندن ١٦٢٢ يقول في أحد كتبه:-

"ما زالت المرأة تواصل فينا الخداع، مثلما بدأت خديعتها في الفردوس، واقترنت حواء في أذهاننا بالقضاء المبرم، بوصفها أرومة بؤسنا بأسره"[3].

(١) النظرية الأدبية المعاصرة ص١٨٦.
(٢) انظر: أنثوية العلم، ص٤٥.
(٣) نفسه ص٤٤.

ومعروف الدور الذي يُنسب إلى (جان جاك روسو[1]) (١٧١٢ – ١٧٧٨) وبخاصة نظريته الاجتماعية في: العدل والمساواة والحرية

ولكنه عند النظر إلى المرأة:

تجاهل روسو أفكاره ... وتقدَّم زاعمًا أن (الأسرة البطرياركية[2]) طبيعية وضرورية، ومن ثم فلابدَّ أن تعرف طبيعة المرأة تبعًا لاحتياجاتها"، ولذلك نظر (روسو) إلى المرأة بأنها (بعد أن قرَّر طبيعتها):

- سلبية بطبيعتها.
- خاضعة ومحتشمة (أي في بيتها).
- ولا تكون سعيدة إلا إذا أسعدت الرجل.
- وأنّ دورها "أن تنجب وتربي ورثة لاشك[3] فيهم ليرثوا ملكية الأسرة".

(١) من مفكري الثورة الفرنسية ، واشتهر بتأثيره الأوروبي في الفكر والثقافة والتحولات المجتمعية.
(٢)حيث سيطرة الذكور الوحيدة السائدة (سبق تفصيل المعنى).
(٣) لاحظ التشكيك في خصائص (الأمانة / والنزاهة / والشرف) في المرأة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- وأن تطيع زوجها بلا مناقشة.
- وأن تعتمد عليه اعتمادًا تامًا.

ويتجلى في فلسفته الامتداد الواضح إلى فلسفة أرسطو حيث:

لا تدخل المرأة في إطار (المواطنة)[1] عنده.

وتتوصل الباحثات النسويات في أواخر القرن العشرين إلى مثل هذه الرؤية التي أشاعها (روسو) – بتأثيره الواسع – حيث:

"ينتظر المجتمع الغربي من المرأة أن تكون وديعة، تتقبل أي شيء، سلبية وعاطفية، لا عقلانية، حدسية ذاتية، شفوقة، حساسة وحنونة، لا تهاجم ولا تنافس[2]".

ويبرز التأثير الواسع لـ (روسو) كونه يوصف في

(١) انظر: النساء في الفكر السياسي، ص٣٦٤.

(٢) أنثوية العلم ص٢٩.

التراجم الغربية[1] بأن:

- كتاباته بشكل واسع التأثير تحدُّد (روح العصر).
- وإن تأثير كتاباته (الاجتماعية السياسية) ***Socio – Political*** تحولت إلى (برنامج عمل) الثورات والحركات السياسية في أوروبا وفي أمريكا الشمالية.

وفي تأثير (كَانْت) (١٧٢٤ - ١٨٠٤):

تشير سوزان موللر إلى نظرية (**كَانْت**) وأنها كما يقول تنطبق على: "الموجودات البشرية العاقلة".

وتحت هذا الوصف لا تدخل النساء – عنده – فالمواطَنَة للرجال، نتيجة عدم أهلية (المرأة) لهذه المواطَنَة، حيث – عنده – إنّ السبب الذي يجعل أي شخص غير مؤهل للمواطنة هو:

(1) *Rodney Castelden, People who change the world, (The warner books, London, 2005) P. 219.*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"أن يكون قد وُلدَ أنثى"[1]

ومع أن الفكر النقدي النسوي يعتمد على أنّ أوّل تحولٍ حقيقي في النظر إلى خطاب المرأة كان مع (جون ستوارت مل) (١٨٠٦ - ١٨٧٣) الذي دعا إلى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات، فإنّه من ناحية أخرى:

"لم يتناول قط أو يعترض على المحافظة على الأدوار التقليدية بين الجنسين داخل الأسرة، بل يذهب صراحة، إلى أنها مناسبة ومطلوبة"[2].

ويرى البحث النسوي الأوروبي في (مل):

"أنه على الرغم من أنه يذهب إلى أنه لابدّ أن يُسمح للنساء بحق المواطنة، فليست ثمة طريقة على الإطلاق لواقع الحياة كما تصورها، تسمح لهن أن يكنّ مواطنات"[3]

(١) النساء في الفكر السياسي ص١٦.
(٢) نفسه ص٢٦٥، ولذلك تقول المؤلفة: "بمعنى أن تأييد (مل) لقضية المرأة مقيد".
(٣) نفسه ص٢٦٥.

إن أسلوب التفكير الوظيفي الذي يحصر المرأة بتلك الوظائف (الجنس/ الإنجاب/ رعاية الأطفال/ رعاية الزوج والبيت) هو الذي خلق عندهم - تبعًا لذلك - دونية المرأة وجعلها درجة ثانية في النسق البشري، حيث حمّل هذا الفكر كلّ المهام الكبرى والعملية والواقعية في الحياة للرجل (فقط)، إذ لم يقتصر على تلك الوظائف بالنسبة للمرأة، ولكنه جعلها (أنثى) في مقابل (ذكر) ذات خصائص طبيعية بيولوجية لا تتجاوزها، ومن هنا كان القياس لمكانتها مقارنة بالرجل، وهكذا اتجهت الفلسفة الغربية وثقافتها العامة إلى التقليل من شأن المرأة، ولم يتوقف هذا التفكير في زمن معين، ولكنه ظلّ سلاحًا مشهرًا ضد المرأة، و "لم تمت على الإطلاق" طريقة التفكير هذه بل:

"تم إحياء المذهب الوظيفي ككل في العقود"[1]

(١) العقود الأخيرة المقصودة، التي سبقت إصدار الكتاب (١٩٧٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأخيرة"، "ولا سيما في ميداني علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي."[1]"

وتخلص المؤلفة إلى أنه:

"لا أحد من هؤلاء يبعد كثيرًا عن الأفكار التي عبَّر عنها (روسو) عن المرأة ..."[2]"

فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) والتحليل النفسي المعاصر:

يتساءل (فرويد):

ما الذي تريده المرأة ؟!

وكانت النتيجة التي توصل إليها مع علماء النفس (ذوي المكانة) وكذا علماء التحليل النفسي المعاصر:

(١) النساء في الفكر السياسي ، ص٢٦٥، وتتحدث بالتفصيل عن إثنين:-
- إريك أريكسون في التحليل النفسي.
- تالكوت بارسونز في علم الاجتماع.
ثم استعراض غيرهما مثل (بروتوبتلهيم) و (جوزيف رانيولد) انظر الصفحات: ٢٦٦ - ٢٦٩).

(٢) نفسه ص٢٦٦ وانظر ص٢٦٧.

"في تقديم الإجابة التي تدعم الفكرة القديمة، والتي تقول:

<u>إنّ المرأة ومطالبها واحتياجاتها تحدِّدها خصائصها الجنسية والتناسلية</u>[1]"

ويذهب (فرويد) في نظرياته في علم النفس إلى وضع المرأة في المنطقة الدونية في الوجود البشري، إذ بدت المرأة في نظرياته وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية :

"مختزلة في مستوى بيولوجي فج، <u>مما جعل الأنثى تبدو طفلة تتطلع إلى عضو الذكورة، وتتعرف نفسها من حيث هي أنثى بافتقادها عضو الذكورة ...</u>"

"فتحدِّد نفسها بالسلب، وتعاني عقدة (حسد القضيب[2]) بالضرورة[3]"، "وهذه عند (فرويد) ظاهرة

(١) نفسه ص٢٦٦.

(٢) تحولت إلى مقولة شائعة في الخطاب النسوي بعنوان "التمركز حول القضيب" لتدل على معاني السيطرة أو الهيمنة الذكورية في كل مناحي الحياة: انظر: النقد الثقافي ص٦٨.

(٣) النظرية الأدبية المعاصرة، ت جابر عصفور ص٢٢٩.
وبدت ترجمة (الغانمي) : "فالطفلة حين ترى عضو الذكورة تعتبر نفسها تعريفًا سالبًا، فتعاني بالضرورة من (الحسد من القضيب)" ص٢٠٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تشمل النسوة جميعًا [1].

وهي المقولات التي شكلها أحد علماء التحليل النفسي – أريكسون – بأسلوب أكثر إضافة تحليلية وتعمق من الرؤية السالبة عن المرأة/ الأنثى، حين رأى أنَّ:

"... هويتها كلّها ، وحياتها التي تحياها، يدوران حول ذلك (المكان الداخلي) الخاص بها، ورغبتها في امتلائه." [2]

ولذا لا غرابة أن يقول (فرويد) أنّ النساء ينظرن إلى أنفسهنّ ، نظرة نقص، أو ذات طبيعة قاصرة مآلها الفشل [3].

وهو ما يذكرنا بمقولة أفلاطون:

إن جنس الأنثى خُلق من أنفس الرجال الأشرار

(١) نفسه، ت الغانمي ص٢٠٣.
(٢) النساء في الفكر السياسي الغربي ، ص٢٦٧ ، وانظر ص٢٦٩.
(٣) النظرية الأدبية المعاصرة، ت جابر عصفور، ص٢٢٩ – ٢٠٣.

ويضعها في تصنيف: العبيد والأطفال والأشرار والمخبولين من الرجال، أو مع الحيوانات والقطيع [1].

وبالرغم من العداء الذي حمله الخطاب النسوي تجاه (فرويد) وعلم النفس، فإنّ النسوية قد مالت إلى (التحليل النفسي) الذي تجدّد على يد (**جاك لا كان**) (١٩٠١ – ١٩٨١) الذي أعاد صياغة نظريات فرويد ومقولاته غير المنصفة في حق المرأة، ولكن مع ذلك، وعند تحليل مقولات (لا كان) وتجديداته فإنّ النظرة النسوية رأت:

إنّ الخطاب الذي قدَّمه (لاكان) عن "الاختلاف الجنسي تتضمَّن بالضرورة دونية الجنس النسوي" لأن أي اكتمال في النظر إلى المرأة لا يتم إلاّ مقارنة بالرجل [2].

ويعدُّ (لاكان) من الشخصيات المثيرة للجدل في النظرية النسوية المعاصرة، فإذا كانت النسوية تنظر

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي ص٧ ، ٨.
(٢) انظر: عن دراسة (جين غالوب) النظرية الأدبية المعاصرة ص٢٠٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليه بوصف أعماله تحديًا (للسيطرة الذكورية) أو للمعرفيات التي تنتج عن (السيطرة الذكورية) أو ما سميت بـ (عبادة القضيب)، فإن مجمل عمله يُنظر إليه من زاوية أخرى أنه (معادٍ) للنسوية، وأنَّ نواتج تحليلاته تظلُّ ضمن إطار (التمركز حول القضيب[1]) بالرغم من تجديداته الواضحة في أقوال (فرويد).

وحينما ننظر في نظرية (كارل يونج) في (علم النفس) نجد أنه جعل موجهات السلوك الإنساني تقوم على[2]:

- الأيروس: (مبدأ الترابطية) (الأنثوي).
- اللوجوس: (مبدأ الاهتمام الموضوعي (الذكوري).

وجعل صفات كل منهما الآتي:

(1) *Elizabeth Grosz: Jacques lacun, A feminist introduction, (Digital Printing) (Routledge, U.S.A. 2004) PP. 147-148.*

(٢) أنثوية العلم ، ص٣٦ - ٣٧.

الأيروس/ الأنثوي	اللوجوس: الذكوري
العاطفة	العقل
الجمالية	التفكير الواضح
الروحانية	الفاعلية
التوق إلى الترابط	التعقل رفيع المستوى
التوق إلى التواصل	حل المشاكل
الخوض في غمرة الأشياء	التمييز وإصدار الحكم
والناس والوصول إليها	الاستبصار والتجريد
التّماس معها	الحقيقة واللاشخصية
الارتباط بها	الموضوعية
الاستغراق في خضمها	

وجعل معنى (الترابطية) = "أن نكيِّف احتياجاتنا ورغباتنا مع احتياجات ورغبات الشخص الآخر" ولكنه في الوقت نفسه يرى الأمرين في تكاملهما موجهين للسلوك بحيث إن التركيز على أحدهما وإهمال الآخر قد يؤدي إلى تأثيرات معوقة للسلوك.

وكانت الثورة النسوية على مقولات (فرويد) ثم (لا كان) من خلال الدراسات التي قدَّمتها (جوليا كريستيفا)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و (هيلين سيكسوس)، حيث حاولت الأولى على وجه الخصوص الخروج من تلك التأويلات والتفسيرات حول: (النظام المتمركز حول القضيب)

الذي "يحيل النساء إلى الهامش، نابذًا إياهنّ ككائنات لا استقرار ولا ضمان ولا ثبات [1]" سواء في نظريات فرويد أو في تجديدات (لا كان)، ولهذا ترى النسوية أن (الخطاب) الذي ساد قد (صاغ لغته الرجال): (وما صاغه الرجال هو الحقيقة عن المرأة).

حيث ترى النسوية أن النساء تعرضن لغسيل دماغ بهذا النمط من الأيديولوجيا الأبوية = (البطريركية). وهنّ بذلك يدحضن هذا اللون من الطرح من خلال مقولات (**فوكو**) (١٩٢٦ – ١٩٨٤) ومنها:

" إنّ ما هو حقيقي يعتمد على من يسيطر على الخطاب [2]"

(١) النظرية الأدبية المعاصرة (ت الغانمي) ص٢٠٧.

(٢) نفسه ص١٩٠ – ١٩١.

حيث السيطرة الذكورية (البطريركية) على كل شيء، وعلى كل ألوان الخطاب، أو ما يمكن أن يكون "الاستخدام اللغوي في الثقافة البطريركية" التي جعلت الفلاسفة والمفكرين يضعون مبادئ عامة، توحي بأن تطبيقها سيكون عامًا (أي للجنسين) ولكن واقعيًا: "يسيرون نحو استبعاد النساء في الميدان [1]"

وأنه بالرّغم من أنّ القرن الحالي – القرن العشرين – قد شهد كون (النساء) (مواطنات) فإنهنّ ما زلن:

"مواطنات درجة ثانية [2]"

ولذلك نجد أن (إيان متروف) – مثلاً – في مقابلاته مع ٤٠ عامًا بعد (غزو القمر) يقول:

"ليس الجنس البشري، بل الرجل بجسده وروحه ونفسه، هو الذي اصطحبنا إلى القمر، حطّ على سطحه، وهو الذي عاد ببعض من أحجار القمر الثمينة، وفي النهاية هو الذي يحلل خامات القمر (...)

(١) النساء في الفكر السياسي الغربي، ص١٥.

(٢) نفسه ص ١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليس للمبدأ الأنثوي أي حضور في كل هذا [1] ..."

وهذا ما يجعل المؤلفة تعلّق :

"لم تحدِّد القيم الذكورية العلم فحسب، وبالتالي استبعدت الأنثوية، بل أيضًا أصبح العلم أداة لحرمان المرأة من حقوقها ..."[2]

وتكون النتيجة العامة، انه (وبدون المساس بفكر الفلاسفة العظام ودورهم في التراث الغربي) فإنّ :-

" أنماط التفكير التي تسير في موازاة تامة مع بعض أنماط تفكير الفلاسفة ... لا تزال منتشرة في كتابات المفكرين المعاصرين، وفي أيديولوجيات الممثلين السياسيين، والمؤسسات السياسية المعاصرة[3]".

❖ ❖ ❖

(١) أنثوية العلم ص٤٩ .
(٢) نفسه ص٤٩ .
(٣) النساء في الفكر السياسي الغربي ، ص١٤.

قائمة المصادر والمراجع

العربية:

١. ابن رشد (مسيرة وفكر): د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ط ثانية سنة ٢٠٠١.

٢. الأدب المقارن: د. إبراهيم عبدالرحمن، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٠.

٣. الأدب المقارن: د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط أولى سنة ١٩٨٧.

٤. الأدب والنسوية: بام موريس، ترجمة سهام عبدالسلام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

٥. الاستشراق: إدوارد سعيد، ترجمة د. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط الرابعة سنة ١٩٩٥.

٦. أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي عبدالله المغلوث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة السادسة سنة ٢٠٠٦.

٧. أنثوية العلم (العلم من منظور الفلسفة النسوية): د. ليندا جين شفرد، ترجمة د. يمنى طريف الخولي، عالم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعرفة، الكويت ط أولى سنة ٢٠٠٤.

٨. دليل الناقد الأدبي: د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط ثالثة سنة ٢٠٠٢.

٩. دوائر الخوف (قراءة في خطاب المرأة): د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ثالثة سنة ٢٠٠٤.

١٠. روح الحداثة: د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط أولى سنة ٢٠٠٦.

١١. سلطة النص: د. عبدالهادي عبدالرحمن، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط أولى سنة ١٩٩٨.

١٢. السياسة وسلطة اللغة: د. عبدالسلام المسدي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٧.

١٣. شفرة دافنشي (رواية): دان براون، ترجمة: سمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان ، ط أولى سنة ٢٠٠٤.

١٤. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: د. عبدالوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

١٥. الكتاب المقدس (العهد القديم)، دار المشرق، بيروت، ط

الخامسة سنة ١٩٩٩.

١٦. المرأة بين القرآن وواقع المسلمين: راشد الغنوشي، مركز الراية، دمشق، ط أولى سنة ٢٠٠٥.

١٧. المرأة والجندر: د. أميمة أبو بكر، ود. شيرين فكري، دار الفكر ، دمشق، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

١٨. المنجد في اللغة والأعلام: منير البعلبكي، دار المشرق، بيروت، ط٢٠٠٢.

١٩. المورد (معجم E – عربي).

٢٠. النساء في الفكر السياسي الغربي، سوزان موللر، ترجمة إمام عبدالفتاح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

٢١. النسوية وما بعد النسوية: سارة جامبل، ترجمة: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٢.

٢٢. نظرية الأدب في القرن العشرين: ك. م. نيوتن، ترجمة د. عيسى العاكوب، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة، ط أولى سنة ١٩٩٦.

٢٣. النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة: سعيد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط أولى سنة ١٩٩٦.

٢٤. النقد الثقافي: إيزابرجر، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى سنة ٢٠٠٣.

٢٥. نقد العقل المسلم: عبدالحليم أبو شقة، مركز الراية، دمشق، ط أولى سنة ٢٠٠١.

٢٦. وجهات نظر (مجلة) - القاهرة، عدد (٩١) سنة ٢٠٠٦.

❖ ❖ ❖

الإنجليزية:

1. *Art Berman, From New Criticism to Deconstruction (University Of Illinois Press, U.S.A. 1988).*

2. *Elizabeth Grsz, Jacques Lacan: A Feminist Introduction, (Digital printing , Routeldge U.S.A. 2004).*

3. *German cultural history, from 1860 to the present day, (nymphenburger verlag sbuch handlung, munich 1983).*

4. *Linda J. Nicholson (Edited), Feminism/ postmodernism (Routeldge, NewYork 1990).*

5. *Mahmood Mamdani, Good Muslim Bad Muslim (America, The Cold War, and The Root Of Terror) (Pantheon Books, U.S.A. – Canada) (Malaysian Edition 2005).*

6. *Robert Irwin, The penguin Anthology of classical Arabic Literature, (penguine Classics, England 2006).*

7. *Rodny Castelden, People who change the World (The warner Books, London 2005).*

8. *Simon Blackburn, Oxford Dictionary Of Philosophy, (OxFord University, 2005).*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهرس المواضيع

المقدمة ٥

التمهيد ١١

الثقافة والتغلغل النصي ٢٦

تأثيرات الطفولة البشرية ٣٦

البطريركية ٣٩

فكرة الخلود ٤٢

فكرة (العصمة) في قصة الخلق ٤٨

الفكر النسوي والنقد النسوي ٥١

النسوية : المصطلح والمفهوم ٦٢

الخلفية المعرفية للموقف من المرأة في التوراة ٨٦

نصوص التوراة ٨٧

الخلفية المعرفية للموقف من المرأة
(في التراث الغربي) ١١٨

مقدمة ١١٨

التأثيرات التراثية في الفكر الغربي ١٢٧

قائمة المصادر والمراجع ١٤٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا الكتاب

حاولت هذه الدراسة أن تتصل بالنصوص ذات التأثير ثم النصوص (التجليات) اللاحقة في التجربة البشرية في الغرب، فتناولت:

- نصوص من الكتاب المقدس.
- قراءات في خطاب المرأة في الغرب.
- ربط هذه القراءات مع تجلياتها في الثقافة الغربية .

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الهدف يبدو في محاولة الوصول إلى النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه القراءة، وتبيان أسس (الخلفية المعرفية) لخطاب المرأة في الغرب، والموجات النسوية التي صاحبت هذا الخطاب.

وربما كان هذا مدخلاً لمعرفة الأرضية التي تنبع منها القراءات النسوية في الغرب حتى يتمكن القارئ من إقامة علاقة عضوية -ربما- بين الخطاب النسوي (بعد ذلك) في أي مجتمع، وخلفيته المعرفية التي أنتجته.

توزيع معرض الحياة الدائم للكتاب
حضرموت - المكلا - ت: ٣٠٢٨٥٩